المغني في التفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحرِّرُ الجَامِعُ لِتفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّة]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مَوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُور

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورَةُ ص

(المجلَّدُ الثَّامنُ والعشرونَ)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ ص

سورةُ ص

سورةُ ص

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (ص).[1]

سورةُ (ص) مَكِّيَّةٌ، نَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِن المفَسِّرينَ.[2]

من أهم مقاصد هذه السورة:

إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى وقُدرتِه، وعلى صِدقِ النَّبيِّ - ﷺ -، وأنَّ البَعثَ حَقٌّ، مع الرَّدِّ على شُبُهاتِ المُشرِكينَ.

---

(1) سُمِّيَت سورةَ (ص)؛ لافتِتاحِها بها.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (399/1).

قال ابنُ عاشور: (سُمِّيتْ في المصاحفِ وكُتُبِ التَّفسيرِ وكُتُبِ السُّنَّةِ والآثارِ عن السَّلَفِ سورةَ «صاد»، كما يُنطَقُ باسمِ حرفِ الصَّادِ؛ تَسميةً لها بأوَّلِ كَلِمةٍ منها).

((تفسير ابن عاشور)) (201/23).

(2) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: الماوَرْديُّ، وابنُ عطيَّة، وابن الجوزي، والقرطبي، والفيروزابادي.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (75/5)، ((تفسير ابن عطية)) (561/4)، ((تفسير ابن الجوزي)) (557/3)، ((تفسير القرطبي)) (142/15)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (399/1).

قال ابنُ عطية (٧/ ٣١٩): «هذه السورة مكية بإجماع من المفسرين».

من أهم موضوعات هذه السورة:

1- بيانُ مَوقفِ المُشرِكينَ مِن النَّبيّ - ﷺ -، وإنكارِهم لنُبُوَّته وما جاء به مِن التَّوحيدِ.

2- تَسليةُ الرَّسولِ - ﷺ - عمَّا أصابه مِن قَومِه، بذِكرِ عَدَدٍ مِن الأُمَمِ الَّتي كَذَّبَت رُسُلَها، مع أمْرِه - ﷺ - بالصَّبرِ.

3- حِكايةُ قِصَّةِ داودَ وسُلَيمانَ عليهما السَّلامُ.

4- ذِكرُ قِصَّةِ أيُّوبَ عليه السَّلامُ، وابتِلاءِ اللهِ له، وصَبرِه على ذلك.

5- ثناءُ اللهِ على أنبيائِه: إبراهيمَ، وإسحاقَ، ويَعقوبَ، وإسماعيلَ، والْيَسَعَ، وذي الكِفْلِ.

6- ذِكرُ بَعضِ ما أعَدَّه اللهُ تعالى للمُتَّقينَ مِن نَعيمٍ، وما أعَدَّه للطَّاغينَ مِن عَذابٍ ونَكالٍ.

7- ذِكرُ جانِبٍ مِن قِصَّةِ آدَمَ وإبليسَ.

سورةُ ص

الآيات (1–3)

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1)

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2)

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (3)

غريب الكلمات:

عِزَّةٍ: العِزَّةُ: المُغالَبَةُ والمُمانَعةُ، مِن قَولِهم: أرضٌ عَزازٌ، أي: صُلْبةٌ، وأصلُ (عزز): يدُلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ.

وَشِقَاقٍ: أي: عَداوةٍ ومُبايَنةٍ ومُخالَفةٍ، وأصلُ الشِّقاقِ: الانصِداعُ، ومنه الشِّقاقُ؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى انصِداعِ الجماعَةِ وتفرُّقِها، وقيل: الشِّقاقُ: المخالفةُ، وكونُك فى شِقٍّ غيرِ شِقِّ صاحبِك، أو مِن: شَقِّ العصا بينَك وبينَه.

قَرْنٍ: القرنُ: القَومُ أو الأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ المُقترنونَ في زمنٍ واحدٍ، غير مُقَدَّرٍ بمُدَّةٍ مُعيَّنةٍ، وقيل: مُدَّةُ القرنِ مِئةُ سَنةٍ، وقيل: ثمانونَ، وقيل: ثلاثون، وقيل غيرُ ذلك، وهو مأخوذٌ مِنَ الاقتِرانِ، وهو اجتِماعُ شَيئَينِ أو أشياءَ في معنًى مِن المعاني، وأصلُ (قرن): يدُلُّ على جمْعِ شيءٍ إلى شيءٍ.

وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ: أي: ليس الحِينُ حينَ فِرارٍ ولا مَهرَبٍ، وأصلُ (نوص): يدُلُّ على ترَدُّدٍ ومَجيءٍ وذَهابٍ.

تفسير الآيات:

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1).

ص.

هذا الحرفُ مِن الحروفِ المُقطَّعةِ الَّتي افتُتِحَتْ بها بعضُ سُوَرِ القرآنِ الكريمِ، يأتي لبيانِ إعجازِ هذا القرآنِ؛ حيثُ تُظهِرُ عجزَ الخَلْقِ عن مُعارَضَتِه بمِثلِه، مع أنَّه مركَّبٌ مِن هذه الحروفِ العربيَّةِ الَّتي يَتحدَّثونَ بها.

وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ.

أي: أُقسِمُ بالقُرآنِ ذي الشَّرَفِ،[3] العَظيمِ القَدْرِ، المُذَكِّرِ للعبادِ بما هم عنه غافِلونَ.[4]

---

(3) اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿ذي الذكر﴾ على قولين: الأول: ذي الشرف.

الثاني: ذي التذكير، ذكركم الله به.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٠/ ٩) مستندًا إلى السياق القول الثاني، وعلّل ذلك بقوله: «لأن الله أتبع ذلك قوله: ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾، فكان معلومًا بذلك أنّه إنما أخبر عن القرآن أنّه أنزله ذِكرًا لعباده ذَكَّرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق».

وذكر ابنُ كثير (١٢/ ٧١) القولين، وعلّق عليهما بقوله: «ولا منافاة بين القولين؛ فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار».

وزاد ابنُ عطية (٧/ ٣٢٠) قولًا ثالثًا، فقال: «وقالت فرقة: معناه: ذي الذكر للأمم والقصص والغيوب».

ذكر ابنُ جرير (٢٠/ ١٠ – ١١) اختلافًا في الذي وقع عليه القسم، فذكر قول قتادة، وبعض أقوال أهل اللغة، ثم رجّح مستندًا إلى أقوال السلف قولَ قتادة بقوله: «والصوابُ من القول في ذلك عندي: القول الذي قاله قتادة، وأن قوله: ﴿بل﴾ لَمّا دلت على التكذيب وحلَّت محل الجواب استُغْني بها من الجواب، إذ عُرِف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون، بل هم في عزة وشقاق».

وبنحوه ابنُ عطية (٧/ ٣٢١ – ٣٢٢).

(4) قيل: المرادُ بالذِّكرِ: الشَّرَفُ.

وممَّن اختاره: السمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والنسفي.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (3/157)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 918)، ((تفسير السمعاني)) (4/423)، ((تفسير النسفي)) (3/143).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو حَصينٍ، وأبو صالحٍ، وإسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ، والسُّدِّيُّ، وابنُ عُيَيْنةَ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/8)، ((تفسير ابن كثير)) (7/51).

وقيل: ذِي الذِّكْرِ أي: ذي التَّذكيرِ لكم.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ جرير، والشربيني، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/9)، ((تفسير الشربيني)) (3/399)، ((تفسير ابن عاشور)) (23/203).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السَّلفِ: الضَّحَّاكُ، وقَتادةُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/9)، ((تفسير ابن كثير)) (7/51).

قال ابنُ كثيرٍ: (ولا مُنافاةَ بيْنَ القَولَينِ؛ فإنَّه كتابٌ شريفٌ مُشتَمِلٌ على التَّذكيرِ والإعذارِ والإنذارِ).

((تفسير ابن كثير)) (7/51).

كما قال تعالى: هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ [إبراهيم: 52].

وممَّن جمَع بينَ المعنيينِ السابقينِ: أي أنَّ الذكرَ معناه الشَّرَفُ والتَّذكيرُ: ابنُ القيِّم، والبِقاعي، والسعدي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 10، 11)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (323/16)، ((تفسير السعدي)) (ص: 709)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 14).

وقال ابنُ عاشور: (يجوزُ أن يُرادَ بالذِّكرِ ذِكرُ اللِّسانِ، وهو على معنى: الَّذي يُذكَرُ، بالبناءِ للنَّائبِ، أي: والقُرآنِ المذكورِ، أي: المَمدوحِ المُستحِقّ الثَّناءَ، على أحدِ التَّفسيرَينِ في قَولِه تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ [الأنبياء: 10]، أي: شَرَفُكم).

((تفسير ابن عاشور)) (203/23).

واختلف المُفسِّرونَ في جوابِ هذا القَسَمِ على عِدَّةِ أقوالٍ؛ منها: أنَّه مَحذوفٌ دَلَّ عليه قَولُه تعالى بعدَها: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ [ص: 2] ، وتقديرُه: «ما الأمرُ كما يقولُ هؤلاء الكافِرونَ، بل هم في عِزَّةٍ وشِقاقٍ».

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ جرير، وابن عطية، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (11/20)، ((تفسير ابن عطية)) (492/4)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (327/6).

وذكر الشِّنقيطيُّ أنَّ المُقسَمَ على نَفْيِه يَشمَلُ ثلاثةَ أشياءَ مُتلازِمةٍ: الأوَّلُ: أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - مُرسَلٌ مِن الله حَقًّا، وأنَّ الأمرَ ليس كما يقولُ الكُفَّارُ.

والثَّاني: أنَّ الإلهَ المعبودَ جَلَّ وعلا واحِدٌ، لا كما يَقولُه الكُفَّارُ.

والثَّالثُ: أنَّ اللهَ جلَّ وعلا يَبعَثُ مَن يموتُ، وأنَّ الأمرَ ليس كما يقولُه الكُفَّارُ.

يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (327/6).

وقيل: لم يُذكَرْ جوابُ القَسَمِ؛ لأنَّ في المُقسَمِ به ما يدُلُّ عليه؛ فما في المُقسَمِ به مِن تعظيمِ القُرآنِ ووَصفِه بأنَّه ذو الذِّكرِ، المُتضَمِّن لتذكيرِ العبادِ ما يحتاجونَ إليه؛ وللشَّرَفِ والقَدْرِ، وكَونه حَقًّا مِن عندِ اللهِ غيرَ مُفترًى كما يقولُه الكافِرونَ: ما يدُلُّ على جوابِ القَسَمِ المحذوفِ، فيكونُ تقديرُه: إنَّ القُرآنَ لَحَقٌّ.

وممَّن ذهب إلى هذا التَّقديرِ: ابنُ القيِّم.

وذكر أنَّه معنَى قَولِ كثيرٍ مِن المفَسِّرينَ.

يُنظر: ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: 10، 11).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير السعدي)) (ص: 709).

وقال سُبحانَه: وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا [طه: 113].

وقال تبارك وتعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ [الأنبياء: 10].

وقال عزَّ وجلَّ: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ [ص: 29].

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2).

أي: إنَّما لم يَنتفِعِ الكافِرونَ بالقُرآنِ؛ لأنَّهم في استِكبارٍ عنه، وأَنَفةٍ وامتِناعٍ مِن قَبوله والإيمانِ به، ومُشاقَّةٍ ومُعانَدةٍ وخِلافٍ ومُخاصَمةٍ في رَدِّه وإبطالِه، أو في القَدحِ بمَنْ جاء به.

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (3).

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ.

أي: ما أكثَرَ ما أهلَكْنا مِنَ الأُمَمِ المُكَذِّبةِ قَبْلَ كُفَّارِ قُرَيشٍ؛ بسَبَبِ كُفرِهم وتكذيبِهم برسولِهم، ومُخالَفتِهم كِتابَ رَبِّهم!

كما قال تعالى: وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ [الأعراف: 4، 5].

فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ.

أي: فنادى كُفَّارُ الأُمَمِ الماضيةِ رَبَّهم، واستغاثوا بالتَّوبةِ إليه حينَ نَزَل بهم العَذابُ، وليس ذلك الوَقتُ وَقتَ خلاصٍ وفِرارٍ مِن الهلاكِ بالتَّوبةِ، والتَّضَرُّعِ إلى اللهِ تعالى وَحْدَه، والإنابةِ إليه؛ فلا يَنفَعُهم ذلك حينَئذٍ!

كما قال تعالى: وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ [الأنبياء: 11 – 15].

وقال سُبحانَه: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا [غافر: 84، 85].

سورةُ ص

الآيات (4–11)

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4)

أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5)

وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6)

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7)

أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (8)

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (9)

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (10)

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (11)

غريب الكلمات:

عُجَابٌ: أي: عجيبٌ، أو بليغٌ في العجبِ، يُقالُ: هذا أمرٌ عَجيبٌ، وذلك إذا اسْتُكْبِر واستُعْظِم، وقيل: العُجابُ: هو الَّذي جاوَز حدَّ العَجَبِ، وأصلُ (عجب) هنا: يدلُّ على كِبْرٍ واسْتِكبارٍ للشَّيءِ.

الْمَلَأُ: أي: أشرافُ النَّاسِ ووُجوهُهم ورُؤَساؤُهم، أو: الجماعةُ يجتمعونَ على رأيٍ، فيَملؤونَ القلوبَ هَيْبةً، والعيونَ جلالةً، ويُقالُ: فلانٌ مِلءُ العيونِ، أي: مُعَظَّمٌ عندَ مَن رآه، وقيل: وُصِفوا بذلك؛ لأنَّهم يَتمالَؤون، أي: يَتظاهَرونَ ويَتساندونَ، أو: مِن قولِهم: فلانٌ مليءٌ بكذا، إذا كان مطيقًا له؛ لأنَّهم مُلِئوا بترتيبِ المُهِمَّاتِ، وأحْسَنوا في تَدبيرِها، وأصلُ (ملأ): يدُلُّ على الكَمالِ.

الْمِلَّةِ: أي: الدِّينِ والطَّريقةِ، ثمَّ نُقِلَت إلى أصولِ الشَّرائعِ، وهي هنا النَّصرانيَّةُ، والمِلَّةُ مُشتَقَّةٌ مِن أملَلْتُ (أي: أمليْتُ)؛ لأنَّها تُبنَى على مَسموعٍ ومَتلُوٍّ، فإذا أُريدَ الدِّينُ باعتِبارِ الدُّعاءِ إليه قيل: مِلَّةٌ، وإذا أُريدَ باعتبارِ الطَّاعةِ والانقيادِ له قيل: دينٌ.

اخْتِلَاقٌ: أي: كَذِبٌ وتخَرُّصٌ، وأصلُ (خلق): يدُلُّ على تَقديرِ الشَّيءِ.

فَلْيَرْتَقُوا: أي: فلْيَصعَدوا، وأصلُ (رقي): يدُلُّ على صُعودٍ وارتِقاءٍ.

الْأَسْبَابِ: أي: طُرُقِ السَّماءِ وأبوابِها، وكلُّ ما يُتوصَّلُ به إلى شَيءٍ يُسمَّى سَبَبًا، وأصلُه: الحَبلُ.

الْأَحْزَابِ: أي: الفِرَقِ والجَماعاتِ المُجتَمِعةِ، مِن قَولِهم: تحزَّبَ القَومُ: إذا اجتَمَعوا، وأصلُ (حزب): يدُلُّ على تجَمُّعِ الشَّيءِ.

تفسير الآيات:

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4).

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ.

أي: وعَجِبَ كُفَّارُ قُرَيشٍ أنْ جاءَهم رسولٌ منهم [(5)] –وهو مُحَمَّدٌ – ﷺ –؛ لِيُنذِرَهم عذابَ اللهِ على كُفرِهم وشِرْكِهم.

---

(5) قيل: المرادُ بـ مِنْهُمْ: مِن جِنسِهم البَشَريِّ، فلم يُرسَلْ إليهم مَلَكٌ مِن الملائكةِ.

وممَّن قال بهذا القولِ: ابنُ جرير، وابنُ كثير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/20)، ((تفسير ابن كثير)) (53/7).

وقيل: المرادُ: مِن قَومِهم وأقارِبِهم، فهم يَعرِفونَه حَقَّ المعرفةِ، ويَعلَمونَ صِدقَه وأمانتَه ورجاحةَ عَقلِه.

ذكَرَ هذا الوجهَ: الرَّازيُّ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (367/26).

وممَّن جمَع بيْن المعنيَينِ السّابقَينِ: السعديُّ، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 710)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة ص)) (ص: 23، 24).

وقال السمرقندي: (مِنْهُمْ يعني: مِن العرَبِ).

((تفسير السمرقندي)) (158/3).

وقال البِقاعي: (مُنْذِرٌ مِنْهُمْ أي: مِن البشَـــرِ، ثمَّ مِن العرَبِ، ثمَّ مِن قُرَيشٍ، ولم يكُنْ مِن الملائكةِ مثلًا، وكان يَنبغي لهم ألَّا يَعجَبوا مِن ذلك؛ فإنَّ كَوْنَ النَّذيرِ بما يَحُلُّ مِن المصــائبِ مِن القومِ المُنذَرينَ –مع كَونِه أشـرَفَ لهم– أقعَدُ في النِّذارةِ؛ لأنَّهم أعرَفُ به وبما هو مُنطوٍ عليه؛ مِن صِــدقٍ وشـفَقةٍ وغيرِ ذلك، وهو الَّذي جرَتْ به العَوائدُ في القديمِ والحديثِ؛ لِكَونِهم إليه أميَلَ، فهم لِكلامِه أقبَلُ).

((نظم الدرر)) (327/16).

كما قال تعالى: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ [يونس: 2].

وقال سُبحانه: ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ [ق: 1، 2].

وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

أي: وقال كُفَّارُ قُرَيشٍ عن مُحمَّدٍ - ﷺ -: هذا ساحِرٌ، وليس بنَبيٍّ كما يَزعُمُ![6]

أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5).

---

(6) قيل: مرادُهم بقَولِهم: سَاحِرٌ: أنَّه يجيءُ بالكَلامِ المُمَوَّهِ الَّذي يَخدَعُ به النَّاسَ.

وقيل: المرادُ: يُفَرِّقُ بسِحرِه بيْنَ الوالِدِ وولَدِه، والرَّجُلِ وزَوجتِه.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (149/15).

وقيل: أرادوا هو ساحِرٌ بما يُظهِرُه مِن مُعجِزاتٍ.

وممَّن قال بهذا المعنى: البيضاوي، وابن عجيبة، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (24/5)، ((تفسير ابن عجيبة)) (6/5)، ((تفسير الشوكاني)) (483/4).

وممَّن قال: إنَّ مرادَهم بقولِهم: ساحِرٌ: أنَّه يُفرِّقُ بيْنَ الاثنَينِ: مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (635/3).

وممَّن جمَع بيْن هذه المعاني: البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (328/16).

أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا.

أي: أيَأمُرُنا بترَكِ عِبادةِ آلهتِنا كُلِّها، والاقتِصارِ على عبادةِ اللهِ وَحْدَه؟!

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ.

أي: إنَّ هذا الأمرَ لَشَيءٌ في غايةِ العَجَبِ!

وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6).

وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ.

أي: وانطلَقَ الأشرافُ والكُبَراءُ مِن كُفَّارِ قُرَيشٍ قائِلينَ: امضُوا فاستَمِرُّوا على دينِكم، واصبِروا على عبادةِ آلهتِكم، ولا تَستَجيبوا لِما يَدْعوكم إليه محمَّدٌ مِن توحيدِ اللهِ.

كما قال اللهُ تبارك وتعالى: وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آَلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا [الفرقان: 41، 42].

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ.

أي: إنَّ ما يَدْعونا إليه محمَّدٌ مِن إفرادِ العبادةِ للهِ، وتَركِ عبادةِ آلهتِنا: لَشَيءٌ يُريدُ به الرِّئاسةَ والاستِعلاءَ علينا، فنكونُ له أتْباعًا يحكُمُ فينا بما يَشاءُ.

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7).

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ.

أي: ما سَمِعْنا بهذا الَّذي يَدْعونا إليه مُحمَّدٌ مِن توحيدِ اللهِ في مِلَّةِ النَّصرانيَّةِ.(7)

إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ.

أي: ما هذا الَّذي يقولُه مُحمَّدٌ إلَّا كَذِبٌ اختلقَه مِن قِبَلِ نَفْسِه.

أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (8).

أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا.

أي: قالوا استِبعادًا واستِنكارًا: أأَنزَلَ اللهُ القُرآنَ على مُحمَّدٍ، فخُصَّ بالوَحيِ مِن دُونِنا؟!

كما قال اللهُ تعالى: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف: 31].

---

(7) اختلف السلف في الملة الآخرة على قولين: الأول: أنها ملة قريش.

الثاني: أنها النصرانية.

وقد ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٢٦) القولين، ووجّه تسمية ما عليه قريش بالملة بقوله: «ويقال لكل ما تتبعه أمة: ملة».

وعلّق على الثاني منهما بقوله: «وذلك مُتَّجه؛ لأنها ملة شهيرة فيها التثليث، وأن الإله ليس بواحد».

وذكر ابنُ عطية قولًا ثالثًا، فقال: «وقالت فرقة: معنى قولهم: ﴿ما سَمِعْنا﴾ أنه يكون مثل هذا، ولا أنه يقال في الملة الآخرة التي كنا نسمع أنها تكون في آخر الزمان، وذلك أنه قبل مبعث النبي – ﷺ – كان الناس يستشعرون خروج نبي وحدوث ملة ودين».

وعلَّق عليه قائلًا: «ويدل على صحة هذا ما روي من أقوال الأحبار أولي الصوامع، وما روي عن شِقٍّ وسَطِيح، وما كانت بنو إسرائيل تعتقد من أنه يكون منهم».

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي.

أي: بل المُشرِكونَ في شَكٍّ مِن كونِ القُرآنِ حَقًّا أُوحيَ إلى محمَّدٍ مِن عندِ اللهِ.

بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ.

أي: بلْ لم يَنزِلْ بَعْدُ بالمُشرِكينَ عَذابي؛ لِتَكذيبِهم رَسولي، وشَكِّهم في كتابي الَّذي أنزَلْتُه عليه، فلو أصابَهم العَذابُ لَأيْقَنوا بصِدقِ ما كانوا يَشُكُّونَ فيه، ويُكَذِّبونَ به.

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (9).

أي: أمْ عِندَ المُشرِكينَ مَفاتيحُ رَحمةِ رَبِّك -يا محمَّدُ- العزيزِ الغالِبِ على أمْرِه، الوهَّابِ ما يَشاءُ لِمَن يَشاءُ مِن عبادِه؛ مِن نُبُوَّةٍ، ومُلْكٍ، ونِعمةٍ، فيَهَبوها لِمَن شاؤوا؟!

كما قال تعالى: أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا [النساء: 53، 54].

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (10).

أي: أمْ للمُشرِكينَ مُلكُ السَّمَواتِ والأرضِ وما بَيْنَهما؟ فإنْ كان لهم ذلك فلْيَصعَدوا إذَنْ في الطُّرُقِ المُوصِلةِ لهم إلى السَّماءِ إن استَطاعوا، بحيثُ يَكونونَ قادِرينَ على القيامِ بما يُريدونَه![8]

(8) بيّن ابنُ جرير (٢٠/ ٢٨) أن معنى الأسباب: الأبواب والطرق.

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (11).

أي: كُفَّارُ قُرَيشٍ جُندٌ مَهزومٌ ذَليلٌ مِنَ المُتحَزِّبينَ على إبطالِ الحَقّ.(9)

كما قال الله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ [القمر: 44، 45].

ثم ذكر اختلاف أهل التأويل في معنى الأسباب في هذا الموضع على قولين:

الأول: أنها الأبواب والطرق.

الثاني: ما جاء في قول الربيع بن أنس.

ثم علّق بقوله: «وأصل السبب عند العرب: كل ما تسبب به إلى الوصول إلى المطلوب مِن حبل، أو وسيلة، أو رحم، أو قرابة، أو طريق، أو محجة، وغير ذلك».

وقال ابنُ عطية (٧/ ٣٢٧): «والأسباب: كل ما يتوصل به إلى الأشياء، وهي هنا بمعنى: الحبال والسلالم».

(9) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٢٧ بتصرف) اختلافًا في الإشارة بـــ ﴿هنالك﴾ على أقوال، فقال: «وقوله تعالى: ﴿جُنْدٌ ما هُنالِكَ مَهْزُومٌ﴾ اختلف المتأولون في الإشارة بـ ﴿هُنالِكَ﴾ إلى ما هي؟ فقالت فرقة: أشار إلى الارتقاء في الأسباب، أي: هؤلاء القوم إن راموا ذلك جند مهزوم.

وقالت فرقة: الإشارة بـ ﴿هُنالِكَ﴾ إلى حماية الأصنام وعضدها، أي: هؤلاء القوم جند مهزوم في هذه السبيل.

وقال مجاهد: الإشارة بـ ﴿هُنالِكَ﴾ إلى يوم بدر، وكان غيبٌ أعْلَمَ اللهُ به على لسان رسوله، أي: جند المشركين يهزمون، فخرج في بدر.

وقالت فرقة: الإشارة إلى حصر عام الخندق بالمدينة».

وعلّق على القول الأول بقوله: «وهذا قويٌّ».

سورةُ ص

الآيات (12–16)

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12)

وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13)

إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14)

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (15)

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16)

غريب الكلمات:

ذُو الْأَوْتَادِ: أي: صاحِبُ البِناءِ المُحكَمِ والمُلْكِ الثَّابِتِ، والعَرَبُ تَقولُ: هم في عزٍّ ثابِتِ الأوتادِ، ومُلكٍ ثابتِ الأوتادِ، يُريدونَ أنَّه دائِمٌ شَديدٌ. وقيلَ: صاحِبُ القُوَّةِ والبَطشِ والجُنودِ والجُموعِ الكثيرةِ الَّذين يُقَوُّونَ أمْرَه، ويَشُدُّونَ مُلكَه، كما يقوّي الوَتِدُ الشَّيءَ، فأصلُ هذا أنَّ بيوتَ العربِ كانت تُثبَّتُ بالأوتادِ، وقيل غيرُ ذلك.

وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ: هم قَومُ شُعَيبٍ، والأيْكةُ: الشَّجَرُ المُلتَفُّ المُجتمِعُ، وأصلُ (أيك): يدُلُّ على اجتِماعِ شَجَرٍ.

فَوَاقٍ: أي: رُجوعٍ وارتدادٍ، وقيل: راحةٍ لا يُفيقونَ فيها، كما يُفيقُ المريضُ والمَغْشيُّ عليه. وفُواق -بضمِّ الفاءِ- أي: انتِظار. وقيل: الفواقُ بضمِّ الفاءِ وفتحِها بمعنًى واحدٍ، وهو ما بيْنَ الحَلْبَتَينِ، وأصلُ (فوق) هنا: يدُلُّ على أَوْبةٍ ورُجوعٍ.

قِطَّنَا: أي: عذابَنا ونَصيبَنا وحِسابَنا، ويُقالُ لكِتابِ الحِسابِ: قِطٌّ، واشتِقاقُه مِن القَطِّ: وهو القَطعُ، وكذلك النَّصيبُ هو القِطعةُ مِن الشَّيءِ.

تفسير الآيات:

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12).

أي: كذَّبَتْ قبْلَ مُشرِكي قُرَيشٍ قَومُ نُوحٍ، وعادٌ قَومُ هُودٍ، وفِرعَونُ صاحِبُ الأوتادِ.(10)

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ [الشعراء: 105].

وقال سُبحانَه: كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ [الشعراء: 123].

وقال عزَّ وجلَّ: وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ [الفجر: 10].

---

(10) اختلف السلف في السبب الذي من أجله قيل لفرعون: ذو الأوتاد، على أقوال:

الأول: قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد، يلعب له عليها.

الثاني: قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد.

الثالث: ذو البنيان، قالوا: والبنيان هو الأوتاد.

الرابع: ذو القوة والبطش.

ولم يذكر ابنُ جرير (٢٠/ ٣١) سوى الأقوال الثلاثة الأولى، ورجّح مستندًا إلى اللغة الأولين منها، فقال: «وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال: عُني بذلك: الأوتاد؛ إما لتعذيب الناس، وإما للعب، كان يلعب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد».

ورجّح ابنُ عطية (٧/ ٣٢٨) مستندًا إلى اللغة القول الثالث، فقال: «وقال الضحاك: أراد المباني العظام الثابتة. وهذا أظهر الأقوال، كما يقال للجبال: أوتاد؛ لثبوتها».

ثم قال: «ويحتمل أن يقال له: ذو أوتاد، عبارة عن كثرة أخبيته، وعِظَم عساكره، ونحو من هذا قولهم: أهل العمود».

وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13).

أي: وكذَّبتْ قبْلَ مُشركِي قُرَيشٍ ثمودُ قومُ صالحٍ، وقومُ لوطٍ، وأصحابُ الأشجارِ المُلتفَّةِ الَّذين أُرسِلَ إليهم شُعَيبٌ، أولئك الأحزابُ الَّذين تحزَّبوا على الكُفرِ باللهِ، وتكذيبِ رُسُلِه، وردِّ الحقِّ.

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى [الحج: 42 – 44].

وقال سُبحانَه: كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ [الشعراء: 176، 177].

إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14).

أي: كُلُّ تلك الأحزابِ قد وقَعت في تَكذيبِ رُسُلِ اللهِ؛ فوجَبَ عليهم عِقابُ اللهِ؛ فلْيَحذَرِ المكذِّبونَ بمُحمَّدٍ أن يُعاقَبوا كما عُوقِبَ مَن قَبْلَهم.

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ [ق: 12 – 14].

وقال سُبحانَه: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ [غافر: 5].

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (15).

أي: وما يَنتَظِرُ[11] المُشرِكونَ مِن قُرَيشٍ إلَّا سَماعَ النَّفخةِ الأُولى في الصُّورِ، وهي نَفخةٌ ما لها مِن رجوعٍ ولا إمهالٍ.[12]

---

(11) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٢٨ - ٣٢٩) أنّ ينظر بمعنى: ينتظر، وأن معنى الآية: إخبار من الله لرسوله صَدَّقه الوجود، فالصيحة على هذا عبارة عن جميع ما نابهم مِن قتل وأسر وغلبة، وهذا كما تقول: صاح فيهم الدهر.

وقال قتادة: توعدهم بصيحة القيامة والنفخ في الصور.

ثم ذكر قولًا آخر، فقال: «وقالت طائفة: توعدهم بصيحة يهلكون بها في الدنيا».

ثم علّق على القولين بقوله: «وعلى هذين التأويلين فمعنى الكلام أنهم بمدرج عقوبة وتحت أمر خطير، ما ينتظرون فيه إلا الهلكة. وليس معناه التوعد بشيء معين ينتظره محمد - ﷺ - فيهم كالتأويل الأول».

(12) قال ابنُ عاشور: (تَتبَّعتُ اصطِلاحَ القُرآنِ فوَجَدْتُه إذا استعمل «هَؤُلَاءِ» ولم يكُنْ معه مُشارٌ إليه مذكورٌ: أنَّه يريدُ به المُشركِينَ مِن أهلِ مَكَّةَ).

((تفسير ابن عاشور)) (223/23).

وممَّن قال بأنَّ المرادَ بالصَّيحةِ: النَّفخةُ الأُولى في الصُّورِ: ابنُ جرير، والسمرقندي، ومكِّي، والرسعني، وابن كثير، والعُلَيمي، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (33/20)، ((تفسير السمرقندي)) (160/3)، ((الهداية)) لمكي (2610/10)، ((تفسير الرسعني)) (457/6)، ((تفسير ابن كثير)) (56/7)، ((تفسير العليمي)) (11/6)، ((تفسير الشوكاني)) (486/4).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (224/23).

قال الشوكاني: (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً أي: ما يَنتَظِرونَ إلَّا صَيحةً، وهي النَّفخةُ الكائنةُ عندَ قيامِ السَّاعةِ.

وقيل: هي النَّفخةُ الثَّانيةُ.

وعلى الأوَّلِ: المرادُ مَن عاصَرَ نبيَّنا - ﷺ - مِن الكُفَّارِ،

وعلى الثَّاني: المرادُ كُفَّارُ الأُمَمِ المذكورةِ، أي: ليس بيْنَهم وبيْن حُلولِ ما أعَدَّ اللهُ لهم مِن عذابٍ إلَّا أن يُنفَخَ في الصُّورِ النَّفخةُ الثَّانيةُ.

وقيل: المرادُ بالصَّيحةِ: عذابٌ يفجَؤُهم في الدُّنيا).

((تفسير الشوكاني)) (486/4).

واختُلِف في معنى قولِه: مِنْ فَوَاقٍ؛ فقيل: المعنى: ما لتلك الصَّيحةِ مِن فُتورٍ ولا انقِطاعٍ ولا تَردادٍ، فهي مُمتدَّةٌ لا تقطيعَ فيها.

القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قولِه: فَوَاقٍ قراءاتانِ:

1- قراءةُ فُوَاقٍ بضمِّ الفاءِ، أي: تأخيرٍ، وتوقُّفٍ مِقدارَ فُواقِ ناقةٍ، وهي ما بيْنَ حَلْبَتَي اللَّبنِ، وقيل: رجوعٍ، وقيل: تَردادٍ.(13)

ومِمَّن قال بهذا المعنى في الجملةِ: ابنُ جرير، ومكِّي، والقرطبيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (33/20)، ((الهداية)) لمكي (6210/10)، ((تفسير القرطبي)) (156/15، 157).

وقيل: المعنى: ما لَها مِن توقُّفٍ مِقدارَ فَواقٍ، فإذا جاء وقتُها لم يُمهلْ هذا القَدر.

ومِمَّن اختار هذا المعنى: النيسابوري، وأبو السعود، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير النيسابوري)) (585/5)، ((تفسير أبي السعود)) (218/7)، ((تفسير ابن عاشور)) (224/23).

وقيل: المعنى: ليس بعدَها رجوعٌ إلى الدُّنيا ولا مَرَدٌّ.

ومِمَّن اختار هذا المعنى: مقاتلُ بنُ سُليمانَ، والزَّجَّاجُ، والواحدي، والخازن، وجلال الدين المحلي، والعُلَيمي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (638/3)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (323/4)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 920)، ((تفسير الخازن)) (33/4)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 599)، ((تفسير العليمي)) (11/6)، ((تفسير السعدي)) (ص: 710).

قال الشوكاني: (ومعنى الآيةِ: أنَّ تلك الصَّيحةَ هي ميعادُ عَذابِهم، فإذا جاءت لم تَرجِعْ، ولا تُرَدُّ عنهم، ولا تُصرَفُ منهم، ولا تتوقَّفُ مِقدارَ فَواقِ ناقةٍ، وهي ما بيْنَ حَلْبَتَيِ الحالِبِ لها).

((تفسير الشوكاني)) (486/4).

وقال ابنُ عثيمين: (ويمكِنُ أن نقولَ: إنَّ القِراءتَينِ تجمعانِ المَعنيَينِ؛ فيَكونُ معنى مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ أي: ما لها مِن رُجوعٍ ولا إمهالٍ).

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 75).

وذكَرَ البِقاعي احتِمالاتٍ أخرى في معنى الآيةِ.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (345/16، 346).

(13) قرأ بها حمزةُ والكِسائيُّ وخَلَف.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (361/2).

2- قراءةُ فَوَاقٍ بفتحِ الفاءِ، أي: راحةٍ، وقيل: رجوعٍ، وقيل: تَردادٍ، وقيل: القراءتانِ بمعنًى واحدٍ، فالفتحُ والضمُّ لُغتانِ.(14)

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16).

أي: وقال مُشرِكو قُرَيشٍ استِهزاءً وتَكذيبًا: يا رَبَّنا عجِّلْ لنا نَصيبَنا الَّذي تُوُعِّدْنا به مِن العذابِ قَبْلَ يومِ القيامةِ.(15)

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (2/325)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 613)، ((تفسير ابن جزي)) (2/203)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (9/363).

(14) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/361).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (2/325)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 613)، ((تفسير ابن جزي)) (2/203)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (9/363).

قال ابنُ عاشور: (جمهورُ أهلِ اللُّغةِ على أنَّ الفَتحَ والضَّمَّ فيه سواءٌ، وذهب أبو عُبَيدةَ والفَرَّاءُ إلى أنَّ بيْنَ المفتوحِ والمضمومِ فَرقًا).

((تفسير ابن عاشور)) (23/224).

قال ابنُ جرير: (والصَّوابُ مِن القَولِ في ذلك أنَّهما لُغتانِ؛ وذلك أنَّا لم نَجِدْ أحدًا مِن المُتقَدِّمينَ على اختلافِهم في قراءتِه يُفَرِّقون بيْنَ معنى الضَّمِّ فيه والفتحِ، ولو كان مُختَلِفَ المعنى باختِلافِ الفَتحِ فيه والضَّمِّ لقد كانوا فرَّقوا بيْن ذلك في المعنى).

((تفسير ابن جرير)) (20/36).

(15) اختلف السلف في قوله: ﴿عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ على أقوال: الأول: أنهم سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذي أعد لهم في الآخرة في الدنيا.

الثاني: أنهم سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد - ﷺ - فيؤمنوا حينئذ به ويصدقوه.

الثالث: أنّ مسألتهم نصيبهم من الجنة، ولكنهم سألوا تعجيله لهم في الدنيا.

الرابع: أنهم سألوا ربهم تعجيل الرزق.

كما قال تعالى: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الأنفال: 32].

الخامس: سألوا أن يعجل لهم كتبهم في الدنيا، لينظروا بأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم؟ استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله.

ورجّح ابنُ جرير (٢٠/ ٣٩) مستندًا إلى اللغة، والسياق، ودلالة العقل: أنهم إنما سألوا ربَّهم تعجيلَ حظوظهم مِن الخير أو الشر على وجه الاستهزاء بوعيد الله، وعلَّل ذلك بقوله: «وإنما قلنا إن ذلك كذلك لأنّ القِطَّ هو: ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قولَه لنبيه: ﴿اصبر على ما يقولون﴾، فكان معلومًا بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبي - ﷺ - لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاء، وكان فيه لرسول الله - ﷺ - أذًى؛ أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: ﴿عجل لنا قطنا﴾ بيان أيِّ القطوط أراد بهم، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معنيٌّ به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا إنّ مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر».

ووافقه ابنُ عطية (٧/ ٣٣٠) مستندًا إلى التاريخ، ودلالة العقل، فقال عَقِب ذكره الأقوال في الآية: «وعلى كل تأويل فكلامُهم خرج على جهة الاستخفاف والهزء، ويدل على ذلك ما علم مِن كفرهم واستمر، ولفظ الآية يعطي إقرارًا بيوم الحساب».

وذكر ابنُ كثير (١٢/ ٧٨) ترجيحَ ابن جرير، وعلّق عليه قائلًا: «وهذا الذي قاله جيِّد، وعليه يدور كلام الضحاك وإسماعيل بن أبي خالد».

سورةُ ص

الآيات (17–20)

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17)

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18)

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19)

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20)

غريب الكلمات:

الْأَيْدِ: أي: القُوَّةِ الشَّديدةِ، وأصلُ (أيد): يدُلُّ على القُوَّةِ والحِفظِ.

أَوَّابٌ: أي: رَجَّاعٌ توَّابٌ، مِن قَولِهم: آبَ الرَّجُلُ إلى أهلِه: إذا رجَعَ، وأصلُ (أوب): يدُلُّ على رُجوعٍ.

بِالْعَشِيِّ: أي: آخِرِ النَّهارِ مِن زَوالِ الشَّمسِ إلى الصَّباحِ، أو مِن الظُّهرِ إلى نِصفِ اللَّيلِ، أو صَلاةِ العَصرِ، وأصلُ (عشو): يدُلُّ على ظَلامٍ وقِلَّةِ وُضوحٍ.

وَالْإِشْرَاقِ: أي: وَقتِ إشراقِ الشَّمسِ، أى: سُطوعِها وصَفاءِ ضَوئِها، وهو وَقتُ صَلاةِ الضُّحى، وهو غيرُ الشُّروقِ؛ لأنَّ الشُّروقَ هو وَقتُ طُلوعِ الشَّمسِ. يُقالُ: شَرَقَت الشَّمسُ: إذا طَلَعَت، وأشرَقَت: إذا أضاءَت. وأصلُ (شرق): يدُلُّ على إضاءةٍ وفَتحٍ.

مَحْشُورَةً: أي: مَجموعةً، وأصلُ الحَشرِ: يدُلُّ على السَّوقِ والبَعثِ.

وَشَدَدْنَا: أي: قَوَّيْنا، والشَّدُّ: العَقدُ القَويُّ، وأصلُ (شدد): يدُلُّ على قُوَّةٍ في الشَّيءِ.

الْحِكْمَةَ: أي: النُّبُوَّةَ، وإصابةَ الصَّوابِ في القولِ والفعلِ، وأصلُ (حكم): يدُلُّ على المَنعِ، والحِكمةُ هذا قياسُها؛ لأنَّها تَمنَعُ من الجَهلِ.

وَفَصْلَ الْخِطَابِ: أي: بَيانَ الكَلامِ وبلاغتَه، وجَمْعَه للمَعنى المقصودِ الفاصِلِ بيْنَ الحَقّ والباطِلِ، وأصلُ (فصل): يدُلُّ على تمييزِ الشَّيءِ وإبانتِه.

تفسير الآيات:

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17).

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ.

أي: اصبِرْ –يا محمَّدُ– على ما يَقولُه مُشرِكو قَومِك مِن كُلِّ ما يَسوؤُك مِن أقوالِهم.

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ.

أي: واذكُرْ –يا محمَّدُ– عَبْدَنا داودَ ذا القُوَّة.[16]

---

(16) قال الشوكاني: (ومعنى وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ: اذكُرْ قِصَّتَه؛ فإنَّك تجدُ فيها ما تتسلَّى به).

((تفسير الشوكاني)) (487/4).

والمرادُ بالقُوَّةِ: قيل: هي القُوَّةُ على العبادةِ.

وممَّن قال بهذا المعنى: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، والزَّجَّاجُ، والثعلبيُّ، والواحدي، والقرطبي، وجلال الدين المحلي، والشوكاني، والسعدي، ونسَبَه الماتُريديُّ إلى عامَّةِ أهلِ التَّأويلِ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (639/3)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (323/4)، ((تفسير الثعلبي)) (182/8)، ((الوسيط)) للواحدي (543/3)، ((تفسير القرطبي)) (158/15)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 599)، ((تفسير الشوكاني)) (487/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 711)، ((تفسير الماتريدي)) (610/8).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زَيدٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (41/20)، ((تفسير البغوي)) (56/4).

وقيل: المرادُ: القُوَّةُ في العِلمِ والعَمَلِ.

وممَّن ذهب إليه: ابنُ كثير.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (57/7).

وقال ابن عطيَّةَ: (الأَيْدِ: القوَّةِ، وهي في داودَ مُتضمنةٌ قوَّةَ البدَنِ، وقوَّتَه على الطَّاعةِ).

((تفسير ابن عطية)) (496/4).

ويُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (145/9).

كما قال تعالى: وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ [البقرة: 251].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال له: ((أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى اللهِ صَلاةُ داودَ عليه السَّلامُ، وأحَبُّ الصِّيامِ إلى اللهِ صِيامُ داودَ، وكان يَنامُ نِصفَ اللَّيلِ، ويَقومُ ثُلُثَه، وينامُ سُدُسَه، ويَصومُ يَومًا، ويُفطِرُ يَومًا)).[17]

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال عن النَّبيِّ داودَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ((كان أعْبَدَ النَّاسِ)).[18]

وعن عبدِ اللَّه بنِ عَمرٍو رَضِي اللَّه عنهما: قال: ((بَلَغ النَّبيَّ –ﷺ– أنِّي أسْرُدُ الصَّومَ،...)) الحديث.

وفيه: قالَ النبيُّ – ﷺ –: ((فصُمْ صيامَ داودَ عليه السَّلامُ. قالَ: وكيفَ؟ قال: كانَ يصومُ يومًا ويُفْطِرُ يومًا، ولا يَفِرُّ إذا لاقَى)).[19]

إِنَّهُ أَوَّابٌ.

وقال ابن جُزَي: (وكان داودُ جمَعَ قوَّةَ البدنِ، والقوَّةَ في الدِّينِ، والمُلكِ، والجنودِ).

((تفسير ابن جزي)) (203/2).

وقيل: المرادُ: مُطلَقُ القُوَّةِ، سواءٌ في العبادةِ، أو في المُلكِ، أو فيما سِوى ذلك؛ فهو ذو أَيْدٍ في كُلِّ ما تكونُ القُوَّةُ فيه صِفةَ مَدحٍ.

وممَّن ذهب إلى هذا القَولِ: ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة ص)) (ص: 84).

(17) رواه البخاري (1131) واللفظ له، ومسلم (1159).

(18) رواه مسلم (1159).

(19) أخرجه البخاري (1977)، ومسلم (1159).

أي: إنَّه كَثيرُ التَّوبةِ والتَّضَرُّعِ والوُقوفِ عندَ حُدودِ اللهِ، رجَّاعٌ عمَّا يَكرَهُه اللهُ إلى ما يُحِبُّه ويَرضاه.

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18).

أي: إنَّا ذلَّلْنا الجِبالَ يُسَبِّحْنَ اللهَ مع داودَ في آخِرِ النَّهارِ، ويُسَبِّحْنَ معه في وَقتِ ارتفاعِ الشَّمسِ حينَ تُضيءُ ويَصفو شُعاعُها، وهو وَقتُ الضُّحى.[20]

كما قال اللهُ تباركَ وتعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ [سبأ: 10].

وقال عزَّ وجلَّ: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: 44].

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19).

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً.

أي: وسَخَّرْنا الطَّيرَ مَجموعةً لداودَ.

كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ.

أي: كلٌّ رجَّاعٌ له، يُسَبِّحُ بتَسبيحِه.

---

(20) قال ابنُ عطية (٧/ ٣٣٠): «سخر الجبال تسبح معه، وظاهر الآية عموم الجبال».
ثم ذكر قولًا آخر أن المراد «الجبال التي كان فيها وعندها».

كما قال اللهُ تباركَ وتعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ [سبأ: 10].

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20).

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ.

أي: وقوَّيْنا مُلْكَ داودَ وثبَّتْناه.(21)

وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ.

أي: وآتيْناه القُدرةَ على وَضعِ الأشياءِ في مَواضِعِها الصَّحيحةِ اللَّائقةِ بها وَفْقَ ما أُوتيَه مِن النُّبوَّةِ والعِلمِ بحَقائِقِ الأشياءِ وفَهمِها ومَعرفةِ الصَّوابِ.(22)

---

(21) اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿وشددنا ملكه﴾ على أقوال: الأول: شدد ملكه بالجنود والرجال.
الثاني: كان الذي شدد به ملكه أن أعطي هيبةً مِن الناس له لقضية كان قضاها.
وقد رجّح ابنُ جرير (٢٠/ ٤٨) عدم القطع بأحد القولين، مستندًا للعموم، وعدم دليل الحصر بأحدهما، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إنّ الله –تبارك وتعالى– أخبر أنّه شدد ملك داود، ولم يحصر ذلك مِن تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة مِن الناس له، ولا على هيبة الناس له دون الجنود، وجائزٌ أن يكون تشديدُه ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائزٌ أن يكون كان بجميعها، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله؛ إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبرٌ يجبُ التسليم له».

(22) اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿آتيناه الحكمة﴾ على أقوال:
الأول: أنها الفهم والعلم.
الثاني: أنها النبوة.
الثالث: أنها علم السنن.
وقد ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٣١) هذه الأقوال، ثم قال معلّقًا: «هي عقائد البرهان».

كما قال تعالى: وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ [البقرة: 251].

وَفَصْلَ الْخِطَابِ.

أي: وآتَيْنا داودَ الفَصْلَ في الكلامِ -فكان ذا بيانٍ وفَصاحةٍ- وفي الحُكمِ، فكان يَفصِلُ بيْنَ الخُصومِ.(23)

---

(23) اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿وفصل الخطاب﴾ على أقوال:

الأول: أنه عِلم القضاء والفهم به.

الثاني: أن فصل الخطاب بتكليف المدعي البينة، واليمين على المدعى عليه.

الثالث: أن فصل الخطاب هو قول: أما بعد.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٠/ ٥٢) هذه الأقوال، ثم رجّح مستندًا إلى اللغة، والعموم جوازَ جميعها، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إنّ الله أخبر أنه آتى داود -صلوات الله عليه- فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب: هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومَن قطع مخاطبته أيضًا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيًا فإقامة البينة على دعواه، وإن كان مدعًى عليه فتكليفه اليمين؛ إن طلب ذلك خصمه.

ومن قطع الخطاب أيضًا الذي هو خطبه عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد؛ فإذ كان ذلك كله محتملًا ظاهر الخبر، ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد، ولا ورد به خبرٌ عن الرسول - ﷺ - ثابتٌ، فالصواب أن يعم الخبر كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء، والمحاورة، والخطب».

ووافقه ابنُ كثير (١٢/ ٨١) بقوله: «وقال مجاهد أيضًا: هو الفصل في الكلام، وفي الحكم.

وهذا يشمل هذا كله، وهو المراد، واختاره ابن جرير».

وذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٣٢) هذه الأقوال، ثم قال: «والذي يعطيه لفظُ الآية: أنّ الله تعالى آتاه أنّه كان إذا خاطب في نازلة فَصَلَ المعنى وأوضحه وبيّنه، لا يأخذه في ذلك حَصْرٌ ولا ضَعْف، وهذه صفةٌ قليلٌ مَن يدركها، فكان كلامه - عليه السلام - فصلًا، وقد قال الله تعالى في صفة القرآن: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣]، ويزيد محمد - ﷺ - على هذه الدرجة بالإيجاز في العبارة، وجمع المعاني الكثيرة في اللفظ اليسير، وهذا هو الذي تخصص - عليه السلام - به في قوله: «وأعطيت جوامع الكلم».

فإنها في الخلال التي لم يُؤْتَها أحدٌ قبلَه».

سورةُ ص

الآيات (21-26)

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25)

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26)

غريب الكلمات:

نَبَأُ: النَّبأُ: خَبَرٌ عَظيمٌ يَحصُلُ به عِلمٌ، وأصلُ (نبأ): يدُلُّ على الإتيانِ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، والخَبَرُ يأتي مِن مَكانٍ إلى مَكانٍ.

الْخَصْمِ: أي: المُتخاصِمَينِ والمُتنازِعَينِ، ويَقَعُ على الواحِدِ والاثنَينِ والجَماعةِ، وأصلُ (خصم): يدُلُّ على مُنازَعةٍ.

تَسَوَّرُوا: أي: صَعِدوا وتَسَلَّقوا، يُقالُ: تَسَوَّرتُ الحائِطَ والسُّورَ: إذا عَلَوْتَه، وأصلُ (سور): يدُلُّ على عُلُوٍّ وارتِفاعٍ.

الْمِحْرَابَ: المِحرابُ: مُقَدَّمُ كُلِّ مَجلِسٍ ومُصَلًّى وأشرَفُه، ويُطلَقُ على المَسجِدِ، وموضعِ العبادةِ، والغُرفةِ، والموضعِ العالي الشَّريفِ.

بَغَى: أي: طغَى، وتعدَّى، والبَغْيُ: الظُّلْمُ، وأيضًا قَصْدُ الفسادِ، وأصلُ البغيِ: تَجاوُزُ الحدِّ، يقال: بَغَى الجرحُ، أي: تَجاوَزَ الحدَّ في فسادِه.

تُشْطِطْ: أي: تَجُرْ وتُسرِفْ وتَتجاوَزْ، وأصلُ (شطط): يدُلُّ على المَيلِ.

سَوَاءِ الصِّرَاطِ: أي: قَصْدَ الطَّريقِ المُستقيمِ ووسَطَه، والصِّراطُ: الطَّريقُ، وأصلُ (سوي): يدُلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بيْنَ شيئَينِ.

أَكْفِلْنِيهَا: أي: انزِلْ عنها لي، واجعَلْني كافِلَها، وأصلُ (كفل): يدُلُّ على تَضمُّنِ الشَّيءِ للشَّيءِ.

وَعَزَّنِي: أي: غلَبَني وقهَرَني، وأصلُ (عزز): يدُلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ.

الْخُلَطَاءِ: أي: الشُّرَكاءِ، وأصلُ (خلط): يدُلُّ على الجمعِ.

وَخَرَّ رَاكِعًا: أي: ألقَى بنفْسِه إلى الأرضِ ساجدًا، والخُرورُ والخَرُّ: السُّقوطُ مِنْ عُلُوٍّ إلى الأرضِ، وخرَّ: سقَط على وَجهِه، وأصلُ (خرر): هو اضْطِرابٌ، وسُقوطٌ مع صوتٍ، ورَاكِعًا: أي: ساجدًا، عبَّر بالرُّكوعِ عنه؛ لأنَّ كلَّ واحِدٍ منهما نوعٌ مِنَ الانحناءِ، وأصلُ (ركع): يدُلُّ على انحناءٍ في الإنسانِ وغيرِه.

وَأَنَابَ: أي: رجَعَ وتابَ، وأصلُ (نوب): يدُلُّ على اعتيادِ مَكانٍ ورُجوعٍ إليه.

لَزُلْفَى: أي: قُرْبَةً ودَرَجةً ومَنزِلةً، وأصلُ (زلف): يدُلُّ على تَقدُّمٍ في قُربٍ إلى شَيءٍ.

مَآبٍ: أي: مَرجِعٍ ومُنقَلَبٍ، وأصلُ (أوب): يدُلُّ على رُجوعٍ.

تفسير الآيات:

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21).

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ.

أي: وهل أتاك -يا مُحَمَّدُ- نبأُ المتخاصِمَينِ في قَضيَّةٍ، وخبَرُهما العَجيبُ مع داودَ؟

إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ.

أي: حينَ تَسَلَّقَ المُتخاصِمانَ المِحْرابَ.

إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22).

إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ.

أي: حينَ دَخَلوا على داودَ بَغتةً فذُعِرَ وخافَ منهم.[24]

---

(24) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٣٣ - ٣٣٤) في السبب الذي مِن أجله فزع داود احتمالين، وعلّق عليهما، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنهُمْ﴾ يحتمل أن يكون فزعه مِن الداخلين أنفسهم لئلا يؤذوه، وإنما فزع من حيث دخلوا من غير الباب ودون استئذان، وقيل: إن ذلك كان ليلًا، ذكره الثعلبي.

ويحتمل أن يكون فزعه مِن أن يكون أهل ملكه قد استهانوه حتى ترك بعضهم الاستئذان، فيكون فزعه على فساد السيرة لا من الداخلين».

قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ.

أي: قالوا لِداودَ لَمَّا رأَوْا فزَعَه مِن دُخولِهم عليه: لا تخَفْ؛ نحن خَصْمانِ تَعدَّى أحَدُنا على صاحبِه، وتجاوَزَ حُدودَه بغَيرِ حَقٍّ.

فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ.

أي: فاقْضِ بيْننا بالعَدلِ، ولا تَجُرْ في القَضاءِ فتتجاوَزَ الحَدَّ.

وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ.

أي: ودُلَّنا وأرشِدْنا بحُكمِك العادِلِ بيْنَنا إلى طَريقِ الحَقِّ الواضِحِ الَّذي لا الْتِباسَ فيه ولا إفراطَ ولا تَفريطَ.

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23).

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً.

أي: قال أحَدُ الخَصمَينِ لِداودَ: إنَّ هذا أخي له تِسعٌ وتِسعونَ نَعجةً.

قال ابنُ عطية (٧/ ٣٣٩): «وفي كتب بني إسرائيل في هذه القصة صورٌ لا تليق، وقد حدث بها قصاص في صدر هذه الأمة، فقال علي بن أبي طالب؟: مَن حدث بما قال هؤلاء القصاص في أمر داود – عليه السلام – جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله».

وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا.

أي: ولِيَ نَعجةٌ واحِدةٌ لا أملِكُ غيْرَها، فقال لي أخي: أعطِنيها وضُمَّها إلَيَّ؛ فتكونَ تحت يدي.

وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ.

أي: غلَبَني وقَهَرني في خِطابِه معي؛ لِيَأخُذَ مِنّي نعجتي الوحيدةَ![25]

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24).

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ.

أي: قال داودُ للخَصمِ المتظَلِّمِ مِن صاحِبِه: لقد ظلَمَك أخوك بسُؤالِه أخْذَ نَعجتِك الوحيدةِ؛ لِيَضُمَّها إلى نِعاجِه الكثيرةِ.[26]

---

(25) قال ابن القيم في الداء والدواء (ص ٥٥٤): «نكاح المعشوقة هو دواء العِشق الذي جعله الله دواءه شرعًا وقدرًا، وبه تدواى نبي الله داود، ولم يرتكب نبيُّ الله محرمًا، وإنما تزوج المرأة وضمها الى نسائه لمحبته لها، وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته، ولا يليق بنا المزيد على هذا».

(26) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٣٩) في قوله تعالى: ﴿لقد ظلمك﴾ قولًا، وانتقده مستندًا إلى مخالفته غيره مِن الروايات المتظاهرة، فقال: «وقال بعض الناس: إنّ داود قال: لقد ظلمك.

قبل أن يسمع حجة الآخر، وهذه كانت خطيئة، ولم تنزل به هذه النازلة المروية قط.

وهذا ضعيف مِن جهات؛ لأنه خالف متظاهر الروايات».

وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

أي: وإنَّ عادةَ كثيرٍ مِن الشُّرَكاءِ أن يَتعدَّى بعضُهم على بعضٍ، ويَظلِمَ بعضُهم بعضًا.

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.

أي: إلَّا الَّذين آمَنوا منهم بما وجَبَ عليهم الإيمانُ به، وعَمِلوا الأعمالَ الصَّالحاتِ؛ فإنَّه لا يقَعُ منهم بَغْيٌ على شُرَكائِهم، وقَليلٌ هم أولئك.[27]

وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ.

أي: وغَلَب على ظَنِّ داودَ[28] بعدَ قَضائِه بيْن الخَصمَينِ أنَّما ابتلَيْناه.

وذكر ابنُ عطية (٤/ ٤٩٩) في السبب الذي مِن أجله عوتب داود احتمالين، فقال: «وقالت فرقة: إن هذا كله هَمَّ به داود ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همّه بذلك.

وقال آخرون: إنما الخطأ في أن لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده، إذ كان عنده أمر المرأة.

والرواة على الأول أكثر».

(27) ذكر ابنُ جرير (٢٠/ ٦٢) في ﴿ما﴾ من قوله: ﴿وقليل ما هم﴾ وجهين، فقال: «وفي ﴿ما﴾ التي في قوله: ﴿وقليل ما هم﴾ وجهان: أحدهما: أن تكون صلة بمعنى: وقليل هم، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام.

والآخر: أن تكون اسمًا، و﴿هم﴾ صلة لها، بمعنى: وقليل ما تجدهم، كما يقال: قد كنت أحسبك أعقلَ مما أنت، فتكون أنت صلة لما، والمعنى: كنت أحسب عقلك أكثر مما هو، فتكون» ما «والاسم مصدرًا، ولو لم تُرِدِ المصدر لكان الكلام بمن، لأن من التي تكون للناس وأشباههم، ومحكيٌّ عن العرب: قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك، وقد كنت أرى أنه غير ما هو.

بمعنى: كنت أراه على غير ما رأيت».

(28) قال ابنُ عطية (٧/ ٣٤٠): «وقوله تعالى: ﴿وظَنَّ داوُدُ﴾ معناه: شعر للأمر وعلمه.

وقالت فرقة: ﴿ظَنَّ﴾ هنا بمعنى: أيقن.

فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ.

والظنُّ أبدًا في كلام العرب إنما حقيقته: تَوَقُّفٌ بين معتقدين يغلب أحدهما على الآخر، وتوقعه العرب على العلم الذي ليس على الحواس ولا له اليقين التام، ولكن يخلط الناس في هذا ويقولون: ظن بمعنى: أيقن، ولسنا نجد في كلام العرب على العلم الذي ليس على الحواس شاهدًا يتضمن أن يقال: رأى زيد كذا وكذا فظنه.

وانظر إلى قوله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿ورَأى المُجْرِمُونَ النّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها﴾ [الكهف: ٥٣]، وإلى قول دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم بالفارسي المسرد

وإلى هذه الآية: ﴿وظَنَّ داوُدُ﴾ فإنك تجد بينها وبين اليقين درجة، ولو فرضنا أهل النار قد دخلوها وباشروا لم يقل: ظن، ولا استقام ذلك، ولو أخبر جبريلُ داودَ بهذه الفتنة لم يعبر عنها بـ «ظن»، **فإنما تعبر العرب بها عن العلم الذي يقارب اليقين، وليس به، ولم يخرج بعد إلى الإحساس»**.

أي: فطلَبَ مِن رَبِّه أن يَغفِرَ له ذَنْبَه؛ سَترًا له، وتَجاوُزًا عن مؤاخَذتِه به،[29] وألقَى بنَفْسِه إلى الأرضِ ساجدًا،[30] ورجَعَ إلى ربِّه وإلى رِضوانِه مِن خَطيئتِه تائبًا.[31]

---

(29) قال ابن عطيَّة: (لا خِلافَ بيْنَ أهلِ التَّأويلِ أنَّهم إنَّما كانوا ملائكةً بَعَثَهم اللهُ ضَرْبَ مَثَلٍ لداودَ عليه السَّلامُ، فاختَصَموا إليه في نازلةٍ قد وقع هو في نحوِها، فأفتى بفُتيا هي واقِعةٌ عليه في نازلتِه، ولَمَّا شَعَر وفَهِم المرادَ، خَرَّ وأناب واستغفَرَ).
((تفسير ابن عطية)) (498/4).
قال الثعالبي: (وأمَّا نازلتُه الَّتي وَقَع فيها، ففيها للقُصَّاصِ تطويلٌ، فلم نَرَ سوقَ جميعِ ذلك؛ لعدَمِ صِحَّتِه).
((تفسير الثعالبي)) (62/5).
وقال ابنُ كثير: (وقد ذكَر كثيرٌ مِن المفسِّرينَ مِن السَّلفِ والخلَفِ هاهنا قصصًا وأخبارًا أكثرُها إسرائيليَّاتٌ، ومنها ما هو مكذوبٌ لا محالةَ).
((البداية والنهاية)) (309/2).
ويُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (60/7).
وقال القاضي عياضٌ: (وأمَّا قصَّةُ داودَ عليه السَّلامُ فلا يجبُ أن يُلتفَتَ إلى ما سطره فيه الأَخْباريُّون عن أهلِ الكتابِ الَّذين بدَّلوا وغيَّروا ونقَلَه بعضُ المفسِّرينَ، ولم يَنُصَّ اللهُ على شَيءٍ مِن ذلك، ولا ورد في حديثٍ صحيحٍ).
((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) (163/2).
ويُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن العربي (52/4- 54)، ((تفسير ابن الجوزي)) (566/3)، ((تفسير الرازي)) (377/26).
وذكر السبكي أنَّ المغفورَ في الآيةِ أحدُ ثلاثةِ أمورٍ: (إمَّا ظَنُّه، وإمَّا اشتغالُه بالحُكمِ عن العبادةِ، وإمَّا اشتغالُه بالعبادةِ عن الحكمِ، كما أشعَر به قولُه: الْمِحْرَابَ).
((القول المحمود)) (ص: 17).
وقيل: ظنَّ دَاوُد عليه السَّلام أن يكونَ ما آتاهُ الله عزَّ وجل مِن سَعَةِ المُلكِ العظيمِ فِتْنةً، فاستغفَرَ اللهَ تعالى مِن هذا الظَّنِّ، فغفَر له؛ إذْ لم يكُنْ ما آتاه الله تعالى مِن ذلك فتنةً.
واختاره ابنُ حزم.
يُنظر: ((الفصل في المِلَل والأهواء والنِّحَل)) (15/4).
وقيل: إنَّه فزِع منهم ظانًّا أنَّهم يَغتالونَه، فلمَّا اتَّضَح له أنَّهم جاؤُوا في حُكومةٍ، ولم يقَعْ ما كان ظنَّه؛ استغفَرَ اللهَ مِن هذا الظَّنِّ، فغفَرَ له.
يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (151/9).
وقيل: إنَّ تلك الزَّلَّةَ إنَّما حصَلت لأنَّه قضَى لأحدِ الخَصمَينِ قبْلَ أنْ يَسمَعَ كلامَ الخصمِ الثَّاني.
واختاره الرازيُّ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (381/26).

وردَّه ابنُ العربي والسعديُّ.

يُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن العربي (56/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 711).

ويُنظر أيضًا: ((الوسيط)) للواحدي (547/3).

قال النحاس: (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ فيقالُ: إنَّ هذه خطيَّةُ داودَ - ﷺ -؛ لأنَّه قال: لَقَدْ ظَلَمَكَ، مِن غيرِ تثبيتِ بَيِّنةٍ، ولا إقرارٍ مِن الخَصمِ، ولا سؤالِ لِخَصْمِه هل كان هذا كذا أمْ لم يَكُنْ؟ هذا قولٌ).

((إعراب القرآن)) (309/3).

وقال القرطبيُّ بعدَ ذِكرِ كلامِ النَّحَّاسِ: (وهو حسَنٌ إن شاء الله تعالى).

((تفسير القرطبي)) (175/15).

واختار ابنُ عثيمينَ أنَّ اللهَ اختبَره بهذه الخصومةِ؛ وذلك لدخوله المِحرابَ وإغلاقِه البابَ عليه، مُخالِفًا مقتضَى وظيفتِه، وما أُمِرَ به مِن الحُكمِ بيْنَ النَّاسِ، وأيضًا لحُكمِه بعدَ سَماعِه مِن أحدِ الخَصمينِ دونَ الثَّاني، وليس في القرآنِ أنَّه سمِع جوابَ الثَّاني.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 111، 112).

قال السعدي: (وهذا الذَّنبُ الَّذي صَدَرَ مِن داودَ عليه السَّلامُ لم يَذكُرْه اللهُ؛ لعَدَمِ الحاجةِ إلى ذِكْرِه، فالتَّعَرُّضُ له مِن بابِ التَّكلُّفِ، وإنَّما الفائدةُ ما قصَّه اللهُ علينا مِن لُطفِه به وتوبتِه وإنابتِه، وأنَّه ارتفَعَ مَحَلُّه؛ فكان بعدَ التَّوبةِ أحسَنَ منه قَبْلَها).

((تفسير السعدي)) (ص: 712).

(30) نفى ابنُ العربيِّ وجودَ خِلافٍ بيْن العُلماءِ في أنَّ المرادَ بالرُّكوعِ هنا: السُّجودُ.

وذكَرَ ابنُ تيميَّةَ اتِّفاقَ العُلَماءِ عليه.

واعترض ابنُ عاشورٍ بأنَّ الخلافَ موجودٌ.

يُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن العربي (57/4)، ((جامع الرسائل)) لابن تيميَّةَ (36/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (240/23).

وقيل: ذُكِر الرُّكوعُ مع أنَّ المرادَ به السُّجودُ؛ لأنَّه سجَد بعدَ أن كان راكعًا، أي: فخُرورُه كان مِن رُكوعٍ.

يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: 922)، ((تفسير ابن كثير)) (60/7).

قال ابن تيميَّةَ: (وقد ثبَتَ بالنَّصِّ الصَّحيحِ واتِّفاقِ النَّاسِ أنَّ داودَ سجَد...

والآثارُ عن السَّلفِ متواترةٌ بأنَّ داودَ سجَد، فكُلُّ ساجِدٍ راكِعٌ، وليس كلُّ راكعٍ ساجدًا؛ فإنَّه إذا سجَد مِن قيامٍ انحنى انحناءَ الرَّاكعِ وزاد فإنَّه يَصيرُ ساجدًا، ولو صلَّى قاعدًا أيضًا انحنَى انحناءَ الرُّكوعِ وزاد فإنَّه يصيرُ ساجدًا؛ فالسَّاجدُ راكعٌ وزيادةٌ؛ فلهذا جازَ أن يُسمَّى راكعًا...

ومِن النَّاسِ مَن قالَ في قصَّةِ داودَ: إنَّه خَرَّ ساجدًا بعدَ ما كان راكعًا...

وهذا قولٌ ضعيفٌ، والقرآنُ إنَّما فيه: وَخَرَّ رَاكِعًا، لم يقُلْ: خرَّ بعدَ ما كان راكِعًا...

ولعلَّ داودَ سجَد مِن قيامٍ، وقيل: خرَّ راكعًا؛ ليبينَ أنَّ سُجودَه كان مِن قيامٍ، وهو أكمَلُ، ولَفْظُ خَرَّ يدُلُّ على أنَّه وصَل إلى الأرضِ، فجمع له معنى السُّجودِ والرُّكوعِ).

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قرأ رسولُ اللهِ – ﷺ – وهو على المِنبَرِ ص، فلمَّا بلَغَ السَّجدةَ نَزَل فسَجَد، وسَجَد النَّاسُ معه، فلمَّا كان يومٌ آخَرُ قَرَأها، فلمَّا بلَغَ السَّجدة تَشَزَّنَ[32] النَّاسُ للسُّجودِ، فقال رسولُ الله – ﷺ –: إنَّما هي توبةُ نَبيٍّ، ولكِنِّي رأيْتُكم تَشَزَّنْتُم للسُّجودِ، فنَزَل فسَجَد وسَجَدوا)).[33]

((جامع الرسائل)) (1/33-36).

قال ابن عطية (٧/ ٣٤١): «ويروى عن مجاهد: أنّ داود – عليه السلام – بقي في ركعته تلك لاصقًا بالأرض يبكي ويدعو أربعين صباحًا، حتى نبت العشب من دمعه.

وروي غير هذا مما لا تثبت صحته».

(31) وقد اختلفَ العلماءُ في هذا الموضعِ: هل هو مِن مواضعِ السُّجودِ أو لا؟ فمذهَبُ الحنفيَّةِ والمالكيَّةِ وبعضِ الشَّافعيَّةِ وروايةٌ عن أحمدَ أنَّه مِن مواضعِ سجودِ التِّلاوةِ.

وممَّن اختاره: ابنُ المُنذِرِ، وابنُ حزمٍ، وابنُ بازٍ، وابنُ عُثَيمينَ.

يُنظر: ((حاشية ابن عابدين)) (2/103)، ((شرح مختصر خليل)) للخرشي (1/350)، ((المجموع)) للنووي (4/61)، ((المغني)) لابن قدامة (1/441)، ((الأوسط)) لابن المنذر (5/261)، ((المحلى)) لابن حزم (3/322)، ((مجموع فتاوى ابن باز)) (24/406)، ((الشرح الممتع)) لابن عثيمين (4/98).

(32) التَّشَزُّنُ: التَّأهُّبُ والتَّهيُّؤُ للشَّيءِ، والاستِعدادُ له.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (2/471).

(33) أخرجه أبو داودَ (1410) واللَّفظُ له، والدارِميُّ (1466)، وابنُ خُزَيْمَةَ (1455).

صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (2765)، وصحَّح إسنادَه البَيْهَقيُّ في ((السنن الكبرى)) (2/318)، والنوويُّ في ((المجموع)) (4/60)، وابنُ كثير في ((تفسير القرآن)) (7/53)، والشوكاني في ((نيل الأوطار)) (3/120)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (2765).

وصَحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1410).

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - سَجد في ص، وقال: سَجدَها داودُ توبةً، ونَسجُدُها شُكرًا))[34].

وعنه أيضًا قال: ((ص ليس مِن عزائِمِ السُّجودِ، وقد رأيتُ النَّبيَّ - ﷺ - يَسجُدُ فيها))[35].

وعن العَوَّامِ، قال: ((سألْتُ مُجاهِدًا عن سَجدةِ ص، فقال: سألْتُ ابنَ عَبَّاسٍ: مِن أين سَجَدْتَ؟ فقال: أوَما تَقرأُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ [الأنعام: 84]، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ [الأنعام: 90]؟ فكان داودُ ممَّن أُمِرَ نَبيُّكم - ﷺ -أن يَقتديَ به، فسجَدَها رَسولُ اللهِ - ﷺ -))[36].

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25).

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ.

أي: فسَتَرْنا لداودَ ذلك الذَّنْبَ، وتَجاوَزْنا عن مُؤاخَذتِه به.

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ.

---

(34) أخرجه النسائي (957) واللفظ له، والطبراني (12386) (34/12)، والدارقطني (407/1).
قال ابن كثير في ((إرشاد الفقيه)) (151/1): (رجالُه على شرط البخاري).
ووثَّق رواتَه ابنُ حجر في ((الدراية)) (211/1)، وقال في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (459/1): (أصلُه في البخاريِّ).
وجَوَّد إسنادَه الشوكانيُّ في ((تفسيره)) (602/4)، وصَحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (957).
(35) أخرجه البخاري (1069).
(36) أخرجه البخاري (4807).

أي: وإنَّ لِداودَ عِندَنا لَقُربةً مِنَّا ومَنزِلةً رَفيعةً، وحُسْنَ مَرجِعٍ ومُنقَلَبٍ.[37]

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26).

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ.

أي: يا داودُ إنَّا استَخلَفْناك في الأرضِ[38] بعدَ مَن كان قَبْلَك؛ لِتأمُرَ بالمعروفِ، وتَنهَى عن المُنكَرِ، وتُدَبِّرَ أمورَ أهلِها الدِّينيَّةَ والدُّنيويَّةَ بأمْرِنا.

---

(37) قيل: المرادُ بـ وَحُسْنَ مَآبٍ: حُسنُ مَرجِعٍ في الآخرة.

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ جرير، وابن عطية، وابن كثير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (76/20)، ((تفسير ابن عطية)) (502/4)، ((تفسير ابن كثير)) (62/7).

وقيل: المرادُ: حُسنُ مَرجِعٍ في كُلِّ ما يُؤمِّلُ مِن الخَيرِ، وفَوقَ ذلك.

وممَّن قال بهذا المعنى: البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (365/16).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير السعدي)) (ص: 712)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 113).

(38) قيل: الأرضُ هي أرضُ مملكتِه المعهودة، أي: جعَلْناك خليفةً في أرضِ إسرائيلَ.

وممَّن قال بهذا: ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (242/23).

وقيل: المرادُ: الأرضُ كُلُّها؛ إشارةً إلى إطلاقِ أمْرِه في جميعِها، فلا جُناحَ عليه فيما فعَلَ في أيِّ بلدٍ أرادَها؛ فهو كان خليفةً في بيتِ المقدِسِ بالفعلِ، وهو خليفةٌ في جميعِ الأرضِ بالقُوَّةِ، بمعنى: أنَّه مهما حكَمَ فيها صَحَّ.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (366/16).

قال ابنُ عاشور: (يجوزُ أن يُجعَلَ الْأَرْضِ مرادًا به جميعُ الأرضِ؛ فإنَّ داودَ كان في زمَنِه أعظَمَ مُلوكِ الأرضِ؛ فهو مُتصَرِّفٌ في مملكتِه، ويَخافُ بأسَه ملوكُ الأرضِ).

فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ.

أي: فاحكُمْ بيْن النَّاسِ بالعَدلِ والإنصافِ، وذلك بالحَقِّ المُنَزَّلِ مِن عندِ اللهِ تعالى.

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

أي: ولا تَتَّبِعْ هوَى نَفْسِك المُخالِفَ لأمرِ اللهِ؛ فيُضِلَّك الهوَى عن اتِّباعِ الحَقِّ المُوصِلِ لِرِضوانِ اللهِ وجَنَّتِه، ويُوقِعَك في الجَورِ والظُّلمِ.

كما قال تعالى: وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ [الأنعام: 119].

إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ.

أي: إنَّ الَّذين يَحيدونَ عن طَريقِ اللهِ لهم عذابٌ شَديدٌ؛ بسَبَبِ نِسيانِهم يومَ القيامةِ، وتَرْكِهم الإيمانَ به، والاستِعدادَ له بالأعمالِ الصَّالحةِ.

((تفسير ابن عاشور)) (242/23).

سورةُ ص

الآيات (27–29)

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27)

أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28)

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)

غريب الكلمات:

فَوَيْلٌ: وَيلٌ: كَلِمةٌ تُقالُ عندَ الهَلَكةِ، والويلُ: الحزنُ والهلاكُ والمشَقَّةُ مِن العذابِ، وقيل: الوَيلُ: وادٍ في جَهنَّمَ.

مُبَارَكٌ: البَرَكةُ: مِن الزِّيادةِ والنَّماءِ، وهي ثُبوتُ الخَيرِ الإلهيِّ في الشَّيءِ، والمُبارَكُ ما فيه ذلِك الخَيرُ، وأصل (برك): يدُلُّ على ثباتِ الشَّيءِ.

لِيَدَّبَّرُوا: أي: لِيَتأمَّلوا في معانيه، ويَتبصَّروا ما فيه؛ يُقال: تدبَّرتُ الأمرَ، أي: نظرتُ في عاقبتِه، والتَّدبيرُ: قَيْسُ دُبُرِ الكلامِ بقُبُلِه، ثمَّ جُعِل كلُّ تمييزٍ تدبيرًا، وأصلُ (دبر): آخِرُ الشَّيءِ وخَلْفُه، خِلافُ قُبُلِه.

الْأَلْبَابِ: أي: العقولِ الزَّكيَّةِ، مُفردُها لُبٌّ، وأصْلُ اللُّبِّ: الخُلوصُ والجَودةُ، والشَّيءُ المُنتقَى.

تفسير الآيات:

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27).

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا.

أي: وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَيْنَهما عَبَثًا ولَعِبًا ولَهْوًا بلا غايةٍ ولا حِكمةٍ.

كما قال اللهُ سبحانه وتعالى: مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ [الحجر: 85].

وقال عزَّ وجلَّ: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [المؤمنون: 115 – 117].

ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.

أي: الظَّنُّ بأنَّا خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَيْنَهما باطِلًا: هو ظَنُّ الَّذين كفَروا باللهِ واليومِ الآخِرِ، فلم يَعرِفوا عَظَمةَ اللهِ وحِكمَتَه.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

أي: فوَيلٌ للَّذين كفَروا مِن عذابِ النَّارِ في الآخِرةِ.

أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28).

أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ.

أي: بلْ أنجعَلُ الَّذين آمَنوا بما وَجَب عليهم الإيمانُ به، وعَمِلوا الأعمالَ الصَّالِحَةَ بإخلاصٍ لله تعالى، ومُتابَعةٍ لِشَرعِه: كالَّذين يُفسِدونَ في الأرضِ بالكُفرِ والشِّركِ والمعاصي؟!

أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ.

أي: بلْ أنجعَلُ الَّذين اتَّقَوا سَخَطَ اللهِ وعذابَه، بفِعلِ أوامِرِه، واجتِنابِ نواهيه: كالَّذين يَنتَهِكونَ حُرُماتِه؟ كلَّا؛ فأولئك لا يَستَوونَ عندَ اللهِ، ولا بُدَّ أن يُجازيَ كُلًّا منهم بما يَستَحِقُّه.

كما قال تعالى: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الجاثية: 21، 22].

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29).

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ.

أي: هذا القُرآنُ أنزَلْناه إليك -يا مُحمَّدُ-، وهو دائِمُ الخَيرِ، غزيرُ العِلمِ، كثيرُ النَّفعِ في الدُّنيا والآخرةِ.

كما قال تعالى: وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الأنعام: 155].

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ.

أي: أنزَلْناه؛ لِيَتدَبَّرَ النَّاسُ آياتِه، فيَتفَهَّموا ويَتتَبَّعوا ظواهِرَ ألفاظِه ويتأمَّلوها، ويُكثِروا مِن إمعانِ النَّظَرِ وإعادةِ الفِكرِ فيها؛ لِيَفهَموا ما وراءَها مِن المعاني والحِكَمِ والأسرارِ.

كما قال تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد: 24].

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ.

أي: ولِيَتَذكَّرَ أصحابُ العُقولِ الصَّحيحةِ ما غفَلوا عنه، فيَرتَدِعوا عن كُلِّ ضَلالةٍ، ويَهتَدوا إلى الرَّشادِ في كُلِّ أمرٍ.

كما قال تعالى: هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ [إبراهيم: 52].

سورةُ ص

الآيات (30–40)

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30)

إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31)

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32)

رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33)

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34)

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35)

فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36)

وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37)

وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38)

هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39)

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (40)

غريب الكلمات:

نِعْمَ: كلمةٌ تُستعمَلُ في المدحِ بإزاءِ (بِئْسَ).

الصَّافِنَاتُ: أي: الخَيلُ القائِمةُ على ثلاثِ قوائِمَ، وأقامت واحِدةً على طَرَفِ الحافِرِ، وأصلُ (صفن): يدُلُّ على جِنسٍ مِن القيامِ.

الْجِيَادُ: أي: الخَيلُ السِّراعُ، جمعُ جوادٍ، وأصلُ (جود): يدُلُّ على تسَمُّحٍ بالشَّيءِ، وكَثرةِ عَطاءٍ.

تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ: أي: استتَرَتْ وتغيَّبت بما يَحجُبُها عن الأبصارِ، يُقالُ: وارَيْتُ كذا: إذا ستَرْتَه، والتَّواري: الاستتارُ، وأصلُ (حجب): المنعُ.

فَطَفِقَ مَسْحًا: طَفِق مِن أفعالِ المُقارَبةِ للشُّروعِ فِي الفعلِ، يُقالُ: طَفِق يفعَلُ كذا، كما يُقالُ: ظَلَّ يَفعلُ كذا، وأخَذ يفعلُ كذا، وأصلُ (مسح): يدُلُّ على إمرارِ الشَّيءِ على الشَّيءِ، ويُطلَقُ على القطعِ، يُقالُ: مسَح رأسَه؛ إذا قطَعه.

بِالسُّوقِ: جمعُ ساقٍ؛ وسمِّيَت بذلك لأنَّ الماشيَ يَنساقُ عليها.

رُخَاءً: أي: رِخوةً لَيِّنةً، وأصلُ (رخو): يدُلُّ على لِينٍ.

حَيْثُ أَصَابَ: أي: حيثُ أراد، مِن قولِهم: أصاب اللهُ بك خيرًا: أي: أراد الله بك خيرًا، وأصلُ (صوب): يدُلُّ على نزولِ شَيءٍ واستِقرارِه قَرارَه.

مُقَرَّنِينَ: أي: مَشدُودينَ، قد قُرِنَ بَعضُهم إلى بَعضٍ، أو مُقَرَّنةً أيديهم وأرجُلُهم إلى رِقابِهِم، وأصلُ **(قرن)** هنا: يدُلُّ على جَمعِ شَيءٍ إلى شَيءٍ.

الْأَصْفَادِ: أي: الأغلالِ والقُيودِ، واحدُها صَفَدٌ، كأصنامٍ وصنَمٍ، وأصلُ **(صفد)**: يدُلُّ على شَدٍّ بشَيءٍ.

فَامْنُنْ: أي: أعْطِ وأنْفِقْ، وأصلُ **(المنة)**: النِّعمةُ الثَّقيلةُ.

لَزُلْفَى: أي: قُرْبى، ومَنزِلةً عاليةً، وأصلُ **(زلف)**: يدُلُّ على اندفاعٍ وتقدُّمٍ في قُرْبٍ إلى شَيءٍ.

تفسير الآيات:

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30).

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ.

أي: ووهَبْنا لِداودَ ابنه سُلَيمانَ.

نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ.

أي: نِعمَ العَبدُ سُلَيمانُ؛ فهو كثيرُ الرُّجوعِ إلى اللهِ تعالى.

إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31).

أي: إذ عُرِضَ على سُلَيمانَ في آخِرِ النَّهارِ الخَيلُ الَّتي مِن صِفاتِها أنَّها لا تَعتمِدُ بجَميعِ قوائِمِها على الأرضِ إذا وقَفت، وأنَّها سريعةٌ في عَدْوِها إذا ركَضَت.

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32).

أي: فقال سُلَيمانُ: إنِّي أحببتُ حُبَّ الخَيلِ[39] عن ذِكرِ ربِّي[40] إلى أنْ غابَتْ عن أعيُنِ النَّاظِرين.[41]

---

(39) قال السمعاني: (أمَّا الخَيْرِ فأكثَرُ المفسِّرينَ على أنَّها الخَيلُ في هذه الآيةِ).

((تفسير السمعاني)) (439/4).

وقال ابنُ جُزَي: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي معنى هذا يختلِفُ على حَسَبِ الاختلافِ في القِصَّةِ؛ فأمَّا الَّذين قالوا: إنَّ سُلَيمانَ عَقَر الخَيلَ لَمَّا اشتَغَل بها حتَّى فاتَتْه الصَّلاةُ، فاختلَفوا في هذا على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحَدُها: أنَّ الْخَيْرِ هنا يُرادُ به الخَيلُ، وزعَموا أنَّ الخَيلَ يقالُ لها: خَيرٌ، وأَحْبَبْتُ بمعنى: آثَرْتُ، أو بمعنى فِعلٍ يَتعدَّى بـ «عن»، كأنَّه قال: آثرتُ حُبَّ الخَيلِ فشَغَلَني عن ذِكرِ رَبِّي.

والآخَرُ: أنَّ الْخَيْرِ هنا يُرادُ به المالُ؛ لأنَّ الخَيلَ وغيرَها مالٌ؛ فهو كقَولِه تعالى: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا [البقرة: 180]، أي: مالًا.

والثَّالِثُ: أنَّ المفعولَ مَحذوفٌ، وحُبَّ الْخَيْرِ مَصدرٌ، والتَّقديرُ: أحبَبتُ هذه الخَيلَ مِثلَ حُبِّ الخيرِ، فشَغَلني عن ذِكرِ رَبِّي.

وأمَّا الَّذين قالوا: كان يُصَلِّي فعُرِضَت عليه الخَيلُ فأشار بإزالتِها، فالمعنى أنَّه قال: إنِّي أحبَبتُ حُبَّ الخَيرِ الَّذي عندَ اللهِ في الآخرةِ؛ بسَبَبِ ذِكرِ رَبِّي، وشغَلَني ذلك عن النَّظَرِ إلى الخَيلِ).

((تفسير ابن جزي)) (208/2).

وقال الشوكاني: (و«عن» في عَنْ ذِكْرِ رَبِّي بمعنى «على».

والمعنَى: آثَرْتُ حُبَّ الخَيلِ على ذِكرِ رَبِّي).

((تفسير الشوكاني)) (495/4).

وقال ابن كثير: (ذَكَر غيرُ واحِدٍ مِن السَّلَفِ والمفسِّرينَ أنَّه اشتَغَل بعَرْضِها حتَّى فات وقتُ صلاةِ العصرِ، والَّذي يُقطَعُ به أنَّه لم يَترُكْها عمدًا، بل نِسيانًا).

((تفسير ابن كثير)) (65/7).

ممَّن اختار أنَّ فِعلَ أَحْبَبْتُ ضُمِّن معنى (آثرْتُ)، أي: آثَرْتُ حُبَّ الخَيرِ على ذِكرِ رَبِّي: الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ، والواحديُّ، والسمعاني، والبغوي، والسعدي.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (405/2)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (331/4)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 923)، ((تفسير السمعاني)) (439/4)، ((تفسير البغوي)) (68/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 712).

وقال ابن عاشور: (وأصلُ تركيبِ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ: أحببتُ الخيرَ حُبًّا، فحوِّل التَّركيبُ إلى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ؛ فصار حُبُّ الخَيرِ تمييزًا لإسنادِ نِسبةِ المَحبَّةِ إلى نفْسِه، لغرضِ الإجمالِ ثمَّ التَّفصيلِ).

((تفسير ابن عاشور)) (255/23).

وقال ابنُ جرير: (ويعني بقوله: فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ أي: أحببْتُ حبًّا للخيرِ، ثمَّ أُضيف الحبُّ إلى الخيرِ. وعُنِيَ بالخيرِ في هذا الموضعِ الخيلُ).

((تفسير ابن جرير)) (83/20).

وقال ابن عثيمين: (أَحْبَبْتُ الأولى على بابِها، وحُبَّ الثَّانيةُ على بابِها مِن بابِ التَّوكيدِ، كأنَّه أحَبَّ حُبَّ الخيلِ، فضلًا عن الخَيلِ، ومَن أحَبَّ حُبَّ الشَّيءِ لَزِم أن يكونَ مُحِبًّا للشَّيءِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 152).

وقيل: عَنْ ذِكْرِ رَبِّي بمعنَى أنَّ هذه المحبَّةَ الشَّديدةَ إنَّما حَصَلَتْ عن ذِكرِ اللهِ وأمْرِه، لا عن الشَّهوةِ والهوَى.

وممَّن اختاره: الرَّازيُّ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (26/390).

(40) قيل: المرادُ بالذِّكرِ هنا: الصَّلاةُ.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنَى: البِقاعي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (16/380)، ((تفسير ابن عاشور)) (23/255).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير السعدي)) (ص: 712).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: عليُّ بنُ أبي طالب، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، والحسَنُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/84)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (7/177).

ذكر غيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ والمفَسِّرين أنَّها صلاةُ العَصرِ.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (7/65).

وقال ابن عاشور: (لعلَّها صلاةٌ كان رتَّبها لِنَفْسِه).

((تفسير ابن عاشور)) (23/255).

وقيل: المرادُ: عُمومُ الذِّكرِ، ويدخلُ فيه صَلاةُ العصرِ.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنَى: ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 152، 153).

(41) وممَّن قال: إنَّ الَّتي توارتْ بالحِجابِ هي الشَّمسُ وَقتَ غُروبِها: ابنُ جرير، والقرطبي، وابن كثير، وابن رجب، والسعدي، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/85)، ((تفسير القرطبي)) (15/195)، ((البداية والنهاية)) لابن كثير (2/338)، ((فتح الباري)) لابن رجب (4/352)، ((تفسير السعدي)) (ص: 712)، ((تفسير ابن عاشور)) (23/256).

قال ابن عثيمين: (الحجابُ هو الأرضُ، فالَّذي يَستُرُها إذا غابَتْ هي الأرضُ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 154).

وقيل: الضَّميرُ في تَوارَتْ عائدٌ على الصَّافِنَاتُ، أي: دخَلَت اصطَبلاتِها، فهي الحِجابُ.

واستظهر هذا المعنَى: أبو حيَّان.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (9/154).

رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33).

أي: أعيدُوا لي تلك الخَيلَ، فلمَّا أعادوها إليه شَرَع يَمسَحُ سِيقانَها وأعناقَها.[42]

قال الرازي: (لو قُلْنا: المرادُ: حتَّى تَوَارَتِ الصَّافِناتُ بالحجابِ، كان معناه أنَّه حِينَ وَقَع بَصَرُه عليها حالَ جَرْيِها كان يقولُ هذه الكلمةَ إلى أنْ غابَتْ عن عَيْنِه، وذلك مُناسِبٌ...

قالَ: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ، ثُمَّ قالَ: حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ، وعَودُ الضَّميرِ إلى أقرَبِ المَذكورَينِ أولَى، وأقربُ المَذكورَينِ هو الصَّافناتُ الجيادُ، وأمَّا العَشِيُّ فأبعَدُهما؛ فكان عَودُ ذلك الضَّميرِ إلى الصَّافناتِ أولَى).

((تفسير الرازي)) (26/390، 391).

(42) اختلَف المفسِّرونَ في المرادِ من قولِه تعالى: فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ: فقيل: إنَّ المراد: قَتْلُ سُلَيمانَ للخَيلِ، وأنَّه قطَع أعناقَها وسُوقَها.

وممَّن اختاره: ابنُ أبي زَمَنِين، والثعلبي، والبغوي ونسَبَه إلى أكثرِ المفَسِّرينَ، والزمخشري، وهو ظاهِرُ اختيار ابن الجوزي، واختاره القرطبيُّ، والبيضاوي، وابن القيِّم، وهو ظاهِرُ اختيارِ ابنِ كثير، واختاره البِقاعي، والعُلَيمي، والشوكاني، والسعدي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن أبي زمنين)) (4/89)، ((تفسير الثعلبي)) (8/201)، ((تفسير البغوي)) (4/68)، ((تفسير الزمخشري)) (4/93)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/572)، ((تفسير القرطبي)) (15/196)، ((تفسير البيضاوي)) (5/29)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (3/48)، ((روضة المحبين ونزهة المشتاقين)) لابن القيم (ص: 445)، ((تفسير ابن كثير)) (7/65)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (16/380، 381)، ((تفسير العليمي)) (6/24)، ((تفسير الشوكاني)) (4/495، 496)، ((تفسير السعدي)) (ص: 712)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 155).

قال ابن الجوزي: (هذا اختيارُ السُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ، والفَرَّاءِ، وأبي عُبيدةَ، والزَّجَّاجِ، وابنِ قُتَيْبةَ، وأبي سُلَيْمانَ الدِّمَشْقيِّ، والجمهورِ).

((تفسير ابن الجوزي)) (3/572).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: قَتادةُ، والحسَنُ، وابنُ السَّائِب.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/86)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/572)، ((تفسير ابن كثير)) (7/65).

قال ابن كثير: (قد يكونُ في شرعِهم جوازُ مِثلِ هذا، ولا سِيَّما إذا كان غضبًا لله عزَّ وجلَّ بسببِ أنَّه اشتَغَل بها حتَّى خَرَج وقتُ الصَّلاةِ).

((تفسير ابن كثير)) (7/65).

وقيل: المرادُ: مَسَحَ عليها؛ حُبًّا وإكرامًا لها.

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34).

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ جرير، والنَّحَّاسُ، والجصَّاصُ، وابنُ حزم، والقاضي أبو يعلى -كما في ((تفسير ابن الجوزي)) (572/3)- والرازيُّ، وأبو حيَّان، ومحمد رشيد رضا.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (87/20)، ((الناسخ والمنسوخ)) للنحاس (ص: 646)، ((أحكام القرآن)) للجصاص (502/3)، ((الفِصَل)) لابن حزم (15/4، 16)، ((تفسير الرازي)) (391/26، 392)، ((تفسير أبي حيان)) (154/9)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (187/6).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والزُّهْريُّ، وابنُ كَيْسانَ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (87/20)، ((تفسير الثعلبي)) (201/8)، ((تفسير ابن الجوزي)) (572/3)، ((تفسير ابن كثير)) (65/7).

قال أصحابُ هذا القولِ: وهذا القولُ أشبَهُ بتأويلِ الآيةِ؛ لأنَّ القولَ بأنَّه قتَلها جمَع على سُلَيْمانَ عليه السَّلامُ أنواعًا مِن الأفعالِ المذمومةِ؛ منها: تركُ الصَّلاةِ، وأنَّه استولَى عليه الاشتغالُ بحبِّ الدُّنيا إلى حيث نَسِيَ الصَّلاةَ، وأنَّه بعدَ الإتيانِ بهذا الذَّنْبِ العظيمِ لم يَشتغِلْ بالتَّوبةِ والإنابةِ البتَّةَ، بل عاقَب خيلًا لا ذنبَ لها، ومثَّل بها، وأتلَفَ مالًا مُنتفَعًا به.

يُنظر: ((الفصل)) لابن حزم (16/4)، ((تفسير الرازي)) (391/26).

قال الرازي: (والصَّوابُ أنْ نقولَ: إنَّ رِباطَ الخيلِ كان مَندوبًا إليه في دينِهم، كما أنَّه كذلك في دينِ محمَّدٍ - ﷺ -، ثُمَّ إنَّ سُلَيمانَ عليه السَّلامُ احتاج إلى الغزوِ فجلَس، وأمَر بإحضارِ الخَيلِ، وأمَر بإجْرائِها، وذكَر أنِّي لا أُحِبُّها لأجْلِ الدُّنيا ونَصيبِ النَّفْسِ، وإنَّما أُحِبُّها لأمْرِ اللهِ وطَلَبِ تَقويةِ دينِه، وهو المرادُ مِن قولِه: عَنْ ذِكْرِ رَبِّي، ثمَّ إنَّه عليه السَّلامُ أمَر بإعدائِها وتسييرِها حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجَابِ، أي: غابَتْ عن بصرِه، ثمَّ أمَرَ الرَّائضينَ بأنْ يَرُدُّوا تلك الخَيلَ إليه، فلمَّا عادَتْ إليه طَفِقَ يَمسَحُ سُوقَها وأعناقَها، والغرضُ مِن ذلكَ المسحِ أمورٌ: الأوَّلُ: تشريفًا لها، وإبانةً لعِزَّتِها؛ لِكَونِها مِن أعظَمِ الأعوانِ في دفعِ العَدُوِّ.

الثَّاني: أنَّه أرادَ أن يُظهِرَ أنَّه في ضبطِ السِّياسةِ والمُلكِ يَتَّضِعُ إلى حيثُ يُباشِرُ أكثرَ الأمورِ بنفْسِه.

الثَّالثُ: أنَّه كان أعْلَمَ بأحوالِ الخَيلِ وأمراضِها وعُيوبِها، فكان يَمتحِنُها ويَمسَحُ سُوقَها وأعناقَها حَتَّى يَعلمَ هل فيها ما يدُلُّ على المرضِ؟ فهذا التَّفسيرُ الَّذي ذكَرْناه يَنطبِقُ عليه لفظُ القرآنِ انْطِباقًا مُطابِقًا مُوافِقًا).

((تفسير الرازي)) (391/26).

وقيل: المرادُ أنَّه كوى سُوقَها وأعناقَها بكَيِّ الصَّدَقةِ، وحَبَّسها في سبيلِ اللهِ تعالى.

حكاه الثعلبيُّ.

يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (201/8).

أي: ولقد ابتَلَيْنا سُلَيمانَ واختبَرْناه، وألقَيْنا على كُرسِيِّه جَسَدًا،[43] ثمَّ رجَعَ سُلَيمانُ إلى رَبِّه، فعَلِمَ أنَّ الَّذي حَلَّ به مِنَ البلاءِ بسَبَبِ ذَنْبٍ صَدَر منه، فتاب إلى رَبِّه.[44]

---

(43) اختُلِفَ في تفسير قوله: ﴿وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾ على قولين: الأول: أن ذلك شيطان.

الثاني: أن ذلك ولد لسليمان مات.

وقد رجّح ابنُ عطية (٧/ ٣٤٨) القول الأول؛ لأنه الأظهر معنىً بقوله: «وهذا أصح الأقوال، وأبينها معنى».

وذكر ابنُ عطية القول الثاني، وقولًا أن ذلك كان شق الولد الذي وُلِد له حين أقسم ليطوفن على نسائه ولم يستثن في قسمه.

وقولًا أن ذلك كان مرضًا كالإغماء أصاب سليمان حتى صار على كرسيه كأنه بلا روح.

وانتقد مستندًا لدلالة الآية الثلاثة بقوله: «وهذا كله غير متصل بمعنى هذه الآية».

(44) قيل: المرادُ بقوله: وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا: شيطانٌ جلَسَ على كُرسيِّ مُلكِه.

وممَّن ذهب إلى هذا القَولِ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، وابنُ جرير، والسمرقنديُّ، وابن أبي زَمَنِينَ، ومكِّي، والواحدي، وابن عطية، وابن حجر، والسعدي.

وجعَلَه ابنُ عثيمينَ قَولًا مُحتَمَلًا، وأنَّه أقربُ الأقوالِ إلى ظاهِرِ اللَّفظِ، ونسَبه القرطبيُّ إلى أكثَرِ المفَسِّرينَ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/644)، ((تفسير ابن جرير)) (20/87)، ((تفسير السمرقندي)) (3/167)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (4/90)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (10/6245)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 923)، ((تفسير ابن عطية)) (4/505)، ((فتح الباري)) لابن حجر (6/461)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 164-168)، ((تفسير القرطبي)) (15/199).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومجاهدٌ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ.

يُنظر: ((صحيح البخاري)) (4/162)، ((تفسير ابن جرير)) (20/88).

وقيل: المرادُ هو ما جاء في الحديثِ أنَّه قال: لَأَطُوفَنَّ اللَّيلةَ على سبعينَ امرأةً، كُلُّ واحدةٍ تأتي بفارسٍ يُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ، ولم يَقُلْ: إن شاء اللهُ، فطاف عليهِنَّ، فلم تَحمِلْ إلَّا امرأةٌ واحِدةٌ، وجاءَتْه بشِقِّ رَجُلٍ.

قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: ((لو قالَها لَجاهَدوا في سبيلِ اللهِ)) [البخاري (3424)]

وفي روايةٍ: ((ولو قالَ: إنْ شاءَ اللهُ، لم يَحْنَثْ، وكان دَرَكًا له في حاجَتِه)) [مسلم (1654)].

فالمرادُ بقولِه: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا هو هذا، والجَسدُ المُلْقى هو المولودُ شِقَّ رَجُلٍ.

وقد استظهر هذا القولَ: البيضاويُّ، وأبو السعود، والألوسي، والشنقيطي، وذكر أبو حيَّان أنَّ هذا القَولَ هو أقرَبُ ما قيل في ذلك.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (5/29)، ((تفسير أبي السعود)) (7/226)، ((تفسير الألوسي)) (12/190)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/254)، ((تفسير أبي حيان)) (9/155، 156).

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35).

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي.

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (260/23).

قال الألوسي: (وغايتُه تَرْكُ الأَولى، فليس بذَنْبٍ، وإن عدَّه هو عليه السَّلامُ ذنْبًا، فالمرادُ بالجسَدِ ذلك الشِّقُّ الَّذي وُلِد له، ومعنى إلقائِه على كُرسيِّه وضْعُ القابِلةِ له عليه لِيَراه).

((تفسير الألوسي)) (190/12).

ويُنظر: ((حاشية الشهاب تفسير البيضاوي)) (311/7).

وقال الشنقيطيُّ في تفسير الآيةِ (23) من سورة الكهف: (اعلَمْ أنَّ هذا الحديثَ الصَّحيحَ بيَّن معنى قوله تعالى: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا الآيةَ، وأنَّ فِتنةَ سُليمانَ كانت بسببِ تركِه قولَ «إن شاء اللهُ»، وأنَّه لم يَلِدْ مِن تلك النِّساءِ إلَّا واحدةٌ نِصْفَ إنسانٍ، وأنَّ ذلك الجسَدَ الَّذي هو نِصفُ إنسانٍ هو الَّذي أُلْقِيَ على كُرسيِّه بعدَ موتِه في قولِه تعالى: وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا الآيةَ.

فما يَذكُرُه المفسِّرون في تفسيرِ قولِه تعالى: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ الآيةَ، مِن قصَّةِ الشَّيطانِ الَّذي أخَذ الخاتمَ وجلَس على كُرسيِّ سُليمانَ، وطَرْدِ سُليمانَ عن مُلكِه حتَّى وجَد الخاتمَ في بطنِ السَّمكةِ الَّتي أعطاها له مَن كان يَعملُ عندَه بأجرٍ مطرودًا عن مُلكِه، إلى آخِرِ القِصَّةِ: لا يخفى أنَّه باطلٌ لا أصلَ له، وأنَّه لا يَليقُ بمقامِ النُّبوَّةِ، فهي مِن الإسرائيليَّاتِ الَّتي لا يَخفى أنَّها باطلةٌ.

والظَّاهرُ في معنى الآيةِ هو ما ذكَرْنا، وقد دلَّتِ السُّنَّةُ الصَّحيحةُ عليه في الجملةِ، واختاره بعضُ المُحقِّقينَ، والعِلمُ عندَ اللهِ تعالى).

((أضواء البيان)) (254/3).

وقال القاضي عياضٌ: (ولا يَصِحُّ ما نقله الأَخْباريُّون مِن تشبُّهِ الشَّيطانِ به، وتسلُّطِه على مُلكِه، وتصرُّفِه في أمَّتِه بالجَورِ في حُكمِه؛ لأنَّ الشَّياطينَ لا يُسلَّطون على مِثلِ هذا، وقد عُصِم الأنبياءُ من مِثلِه).

((الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشُّمُنِّي)) (167/2).

وذكر ابنُ عثيمين احتمالًا أن يكونَ المرادُ سليمانَ نفْسَه، سلَبَ اللهُ تعالى منه التَّفكيرَ وتدبيرَ شؤونِ المملكةِ، فصار لا يُحسِنُ التَّدبيرَ، وأنَّ هذا الاحتمالَ أقرَبُ مِن حيثُ المعنى؛ لأنَّ الإنسانَ إذا سُلِب عقله وتفكيره فهو بمنزلةِ الجسدِ.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 166).

وقيل غيرُ ذلك.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (167/3، 168)، ((تفسير الماوردي)) (96/5)، ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني)) (167/2).

أي: قال سُلَيمانُ: رَبِّ استُرْ علَيَّ ذنْبي، وتَجاوَزْ عن مُؤاخَذَتي به.

وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي.

أي: وهَبْ لي مُلكًا لا يكونُ لأحَدٍ سِواي مِثلُه.(45)

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، عن رَسولِ اللهِ - ﷺ - قال: ((إنَّ سُلَيمانَ بنَ داودَ - ﷺ - لَمَّا بنى بيتَ المَقدِسِ سأل اللهَ عزَّ وجلَّ خِلالًا ثلاثةً: سأل اللهَ عزَّ وجلَّ حُكمًا يُصادِفُ حُكمَه، فأُوتِيَه، وسأل اللهَ عزَّ وجَلَّ مُلكًا لا ينبغي لأحَدٍ مِن بَعدِه، فأوتِيَه، وسأل اللهَ عزَّ وجَلَّ حينَ فَرَغ مِن بناءِ المسجِدِ ألَّا يأتيَه أحَدٌ لا يَنهَزُه(46) إلَّا الصَّلاةُ فيه أن يُخرِجَه مِن خَطيئتِه كيَومَ ولَدَتْه أمُّه)).(47)

---

(45) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٤٩ بتصــــرف) في تفســـير قوله تعالى: ﴿وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ قولين، فقال:

«واختلف المتأولون في معنى قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي﴾ فقال جمهور الناس: أراد أن يفرده بين البشر لتكون خاصة له وكرامة.

وقال قتادة، وعطاء بن أبي رباح: إنما أراد سليمان: لا ينبغي لأحد من بعدي مُدَّة حياتي، أي: لا أُسْلَبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجني».

وعلّق على القول الأول، فقال: «وهذا هو الظاهر من قول النبي - ﷺ - في خبر العفريت الذي عرض له في صــلاته، فأخذه، وأراد أن يوثقه بسـرية مِن ســواري المســجد، قال: «ثم ذكرت قول أخي ســليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي﴾ فأرسلته»».

ورجّح ابنُ كثير (١٢/ ٩٥) مستندًا إلى السياق والسنة القول الأول، فقال بقوله: «وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبه وردت الأحاديث الصحيحة من طُرُق عن رسول الله - ﷺ -».

(46) لا يَنهَزُه: أي: لا يُحَرِّكه ويدفَعُه.

يُنظر: ((غريب الحديث)) لابن الجوزي (445/2).

(47) أخرجه النَّسائي (693) واللفظ له، وابن ماجه (1408)، وأحمد (6644).

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((إنَّ عِفريتًا مِن الجِنِّ جعَل يَفتِكُ[48] علَيَّ البارحةَ؛ لِيَقطَعَ علَيَّ الصَّلاةَ، وإنَّ اللهَ أمكَنَني منه فذَعَتُّه،[49] فلقد هَمَمْتُ أن أربِطَه إلى جَنبِ ساريةٍ مِن سواري المسجِدِ، حتَّى تُصبِحوا تَنظُرونَ إليه أجمَعونَ –أو كُلُّكم– ثمَّ ذكَرْتُ قَولَ أخي سُلَيمانَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، فرَدَّه اللهُ خاسِئًا)).[50]

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – قام فصلَّى صلاةَ الصُّبحِ وهو خَلْفَه، فقرأَ فالتبَسَتْ[51] عليه القِراءةُ، فلمَّا فرَغَ مِن صلاتِه قال: لو رأيتُموني وإبليسَ، فأهوَيتُ بيَدي، فما زِلتُ أخنُقُه حتَّى وَجدْتُ بَرْدَ لُعابِه بيْنَ إصْبَعَيَّ هاتَينِ: الإبهامِ والَّتي تليها! ولولا دَعوةُ أخي سُلَيمانَ

صحَّحه ابنُ حبَّان في ((صحيحه)) (1633)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (188/1)، وابنُ القيِّم في ((المنار المُنِيف)) (74)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (693)، وصحَّح إسنادَه القرطبيُّ في ((التفسير)) (207/5)، والنوويُّ في ((المجموع)) (278/8)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (128/10)، وشعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (1633).

(48) أي: يغفلُه عن الصلاةِ ويَشغلُه.

وأصل الفَتكِ: القتلُ على غفلةٍ وغِرَّةٍ.

يُنظر: ((مطالع الأنوار على صحاح الآثار)) لابن قُرْقُول (191/5)، ((المفهم لما أَشْكَل من تلخيص كتاب مسلم)) لأبي العباس القرطبي (150/2).

(49) أي: خنَقْتُه.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (29/5).

(50) رواه البخاري (461)، ومسلم (541) واللفظ له.

(51) التَبَسَت: أي: اختلَطت واشتبَهَت.

يُنظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: 278).

لأصبحَ مَربوطًا بساريةٍ مِن سواري المسجدِ يَتلاعَبُ به صِبيانُ المدينةِ! فمَنِ استطاع منكم ألَّا يَحولَ بيْنَه وبيْنَ القِبلةِ أحَدٌ فلْيَفعَلْ)).[52]

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

أي: إنَّك كثيرُ الهِباتِ والعَطاءِ لِمَن تَشاءُ مِمَّا تَشاءُ مِن خزائِنِ رَحمتِك وفَضلِك.

فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36).

أي: فاستَجَبْنا دُعاءَ سُلَيمانَ بإعطائِه مُلكًا عَظيمًا لا ينبغي لأحَدٍ مِن بَعدِه، فذَلَّلْنا لأجْلِه الرِّيحَ طائِعةً له كيفما يأمُرُها، فتَهُبُّ رِخوةً في غايةِ اللِّينِ إلى حيثُ أراد.[53]

وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37).

---

(52) أخرجه أبو داودَ (699) مختصرًا، وأحمدُ (11780) واللفظ له.
جوَّد إسنادَه ابنُ كثير في ((البداية والنهاية)) (293/6)، وابنُ رجب في ((فتح الباري)) (497/6)، ووثَّق رجالَه الهَيْثَميُّ في ((مجمع الزوائد)) (90/2)، وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (699): (حسَنٌ صحيحٌ).

(53) قال الزَّجَّاجُ: (حَيْثُ أَصَابَ إجماعُ المفَسِّرينَ وأهلِ اللُّغةِ أنَّه حيث أراد، وحقيقتُه: قَصَدَ، وكذلك قَولُك للمُجيبِ في المسألةِ: أصَبْتَ، أي: قصَدْتَ، فلم تُخطِئِ الجوابَ).
((معاني القرآن)) (333/4).
وقال الماوَرْدي: (تَجْرِي بِأَمْرِهِ يحتمِلُ وجهَينِ؛ أحدُهما: تَحمِلُ ما يأمُرُها.
الثَّاني: تجري إلى حيثُ يأمُرُها).
((تفسير الماوردي)) (98/5).

أي: وسَخَّرْنا له الشَّياطينَ، فذلَّلنا كُلَّ بَنَّاءٍ منهم، فيَبنونَ له ما يأمُرُهم ببِنائِه؛ وذلَّلْنا كُلَّ غوَّاصٍ منهم، فيَغوصونَ له في البِحارِ، فيَستَخرِجونَ له اللآلِئَ وغَيرَها.

كما قال تعالى: وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ [الأنبياء: 82].

وقال سُبحانَه: وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ [سبأ: 12، 13].

وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38).

أي: وذَلَّلْنا لسُلَيمانَ آخَرينَ مِن مَرَدةِ الشَّياطينِ حتَّى قَرَنَهم في القُيودِ، وأوثَقَهم في الأغلالِ.

هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39).

أي: قال اللهُ تعالى لِنَبِيِّه سُلَيمانَ عليه السَّلامُ: هذا المُلكُ الَّذي سألْتَ هو عَطاءٌ عَظيمٌ واسِعٌ وهَبْناه لك؛[54] فأعْطِ مَن شِئتَ مِنَ النَّاسِ،[55] واحرِمْ مَن شِئتَ؛ فلا حرَجَ ولا مُؤاخذةَ عليك في ذلك.[56]

---

(54) اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿هذا عطاؤنا﴾ على أقوال: الأول: أنّه المُلك الذي أعطاه الله.

الثاني: ذلك تسخيره له الشياطين.

الثالث: أنه ما أوتي من القوة على الجماع.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٠/ ١٠٠) مســـتندًا إلى الســـياق القول الأول، وعلَّل ذلك بقوله: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: القولُ الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك مِن أنه عُنِي بالعطاء: ما أعطاه مِن المُلك –تعالى ذِكْرُه–، وذلك أنه –جلَّ ثناؤه– ذكر ذلك عَقِيب خبره عن مسألة نبيه سليمان –صلوات الله وسلامه عليه– إيّاه مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأخبر أنه سـخر له ما لم يسـخر لأحد من بني آدم، وذلك تسـخيره له الريح والشـياطين على ما وصـفت، ثم قال له –عزَّ ذِكْرُه–: هذا الذي أعطيناك من الملك، وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك».

ووافقه ابنُ عطية (٧/ ٣٥٠) مستندًا إلى السياق بقوله: «وقال الحسن بن أبي الحسن: أشار إلى جميع ما أعطاه من الملك، وأمره بأن يمن على من يشـاء ويمسـك عمن يشـاء، فكأنه وقفه على قدر النعمة، ثم أباح له التصـرف فيه بمشـيئته، وهو تعالى قد علم منه أن مشيئته – عليه السلام – إنما تتصرف بحكم طاعة الله، وهذا أصحُّ الأقوال وأجمعها لتفسير الآية».

(55) اختلف السلف في قوله: ﴿فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ على أقوال: الأول: فأعط من شئت ما شئت من الملك الذي آتيناك، وامنع من شئت منه ما شئت، لا حساب عليك في ذلك.

الثاني: أعتق من هؤلاء الشـياطين الذين سـخرناهم لك من الخدمة، أو من الوثاق ممن كان منهم مقرنًا في الأصـفاد؛ من شـئت، واحبس من شئت؛ فلا حرج عليك في ذلك.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٠/ ١٠٣) القول الأول مستندًا لإجماع أهل التأويل، فقال: «والصواب من القول في ذلك: ما ذكرته عن أهل التأويل مِن أنّ معناه: لا يحاسب على ما أعطي من ذلك الملك والسلطان.

وإنما قلنا ذلك هو الصواب لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه».

(56) قال ابن جُزَي: (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِــكْ الإشــارةُ إلى المُلكِ الَّذي أعطاه الله له، والمعنى: أنَّ الله قال له: أعطِ مَن شِئتَ، وامنَعْ مَن شِئتَ.

وقيل: المعنى: امنُنْ على مَن شِئتَ مِن الجنِّ بالإطلاقِ مِن القُيودِ، وأمسِكْ مَن شِئتَ منهم في القيودِ).

وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (40).

((تفسير ابن جزي)) (209/2).

وممَّن اختار الأوَّلَ: ابنُ جرير، والقرطبيُّ، وابن تيميَّة، وابن جُزَي، وابن كثير، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (100/20، 103)، ((تفسير القرطبي)) (206/15)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (181/11)، ((تفسير ابن جزي)) (209/2)، ((تفسير ابن كثير)) (74/7)، ((تفسير السعدي)) (ص: 713).

وممَّن اختار المعنى الثَّانيَ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (647/3)، ((تفسير ابن عاشور)) (267/23).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه، وقتادةُ، والسُّدِّيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (101/20)، ((تفسير ابن الجوزي)) (576/3).

قال الماوَرْدي: (بِغَيْرِ حِسَابٍ فيه ثلاثةُ أوجُهٍ؛ أحدُها: بغيرِ تقديرٍ فيما تُعطي وتَمنعُ، حكاه ابنُ عيسى.

الثَّاني: بغيرِ حرَجٍ، قاله مجاهدٌ.

الثَّالثُ: بغيرِ حسابٍ تُحاسَبُ عليه يومَ القيامةِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ).

((تفسير الماوردي)) (100/5).

وممَّن قال: إنَّ معنى بِغَيْرِ حِسَابٍ: بغيرِ مُؤاخَذةٍ عليك في ذلك: ابنُ جرير، والقرطبيُّ، وابن تيميَّة، وابن كثير، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (103/20)، ((تفسير القرطبي)) (206/15)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (181/11)، ((تفسير ابن كثير)) (74/7)، ((تفسير السعدي)) (ص: 713).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، والضَّحَّاكُ، وعِكْرِمةُ، ومجاهدٌ، وسعيدُ ابنُ جُبَيرٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (101/20)، ((تفسير ابن الجوزي)) (576/3).

قال السَّعدي: (أي: لا حرَجَ عليك في ذلك ولا حِسابَ؛ لعِلمِه تعالى بكَمالِ عَدلِه، وحُسنِ أحكامِه).

((تفسير السعدي)) (ص: 713).

وقيل: المرادُ: أنَّه عَطاءٌ واسِعٌ لا تَضييقَ عليك فيه، على أن جُمْلَتَيْ فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ مُعْتَرِضَتانِ بيْن قولِه: عَطَاؤُنَا وقولِه: بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (267/23).

وقيل: المرادُ: أعطِ مَن شِئتَ بغيرِ حِسابٍ؛ لأنَّك لا تخشى مِن نَقصِه، ولا تُسألُ عنه في الآخرة؛ لأنَّه قد أُذِنَ لك؛ فنَفْيُ الحِسابِ عنه يُفيدُ شيئَينِ: الكَثرةَ، وعدَمَ المؤاخَذةِ في إعطاءٍ أو مَنعٍ.

قاله البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) (387/16).

أي: وإنَّ لِسُلَيمانَ عِندَنا قُربةً مِنَّا ومَنزِلةً عاليةً، وحُسنَ مَرجِعٍ.

سورةُ ص

الآيات (41–44)

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41)

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42)

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43)

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)

غريب الكلمات:

بِنُصْبٍ: أي: بِشَرٍّ ومَشقَّةٍ وعَناءٍ، والنُّصْبُ والنَّصَبُ: التَّعَبُ، وأصلُ (نصب): يدُلُّ على إقامةِ شَيءٍ.

ارْكُضْ: أي: اضرِبْ، والرَّكضُ: حَرَكةُ الرِّجلِ، وأصلُه يدُلُّ على حَرَكةٍ.

ضِغْثًا: أي: حُزمةً وقَبضةً مِنَ الحَشيشِ أو نَحوِه، وأصلُ (ضغث): يدُلُّ على التِباسِ شَيءٍ بشَيءٍ.

وَلَا تَحْنَثْ: أي: قد برَّتْ يمينُك، والحِنْثُ في اليمينِ: نَقْضُها والخُلْفُ فيها، وأصلُ (حنث): يدُلُّ على ذَنْبٍ وحَرَجٍ وإثمٍ.

تفسير الآيات:

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41).

أي: واذكُرْ –يا مُحمَّدُ– عبْدَنا أيُّوبَ حينَ استغاثَ باللهِ تعالى قائِلًا: يا رَبِّ، إنِّي أصابَني الشَّيطانُ بتَعَبٍ وألَمٍ.[57]

كما قال تعالى: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [الأنبياء: 83].

وعن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((إنَّ أيُّوبَ نَبيَّ اللهِ كان في بَلائِه ثمانيَ عَشْرةَ سَنةً، فرفَضَه القَريبُ والبَعيدُ، إلَّا رجُلانِ من إخوانِه كانا مِن أخَصِّ إخوانِه، كانا يَغْدُوانِ إليه ويَرُوحانِ إليه، فقال أحَدُهما لصاحِبِه: أتعلَمُ، واللهِ لقد أذنَبَ أيُّوبُ ذَنْبًا ما أذنَبَه أحَدٌ! قال صاحِبُه: وما ذاك؟! قال: منذُ ثماني عَشْرةَ سَنةً لم يرحَمْه اللهُ فيَكشِفَ عنه! فلمَّا راحا إليه لم يَصبِرِ الرَّجُلُ حتَّى ذكَرَ ذلك له، فقال أيُّوبُ: لا أدري ما يقولُ! غيرَ أنَّ اللهَ يَعلَمُ أنِّي كنتُ أمُرُّ على الرَّجُلَينِ يَتنازَعانِ فيَذْكُرانِ اللهَ،[58] فأرجِعُ إلى بيتي فأُكفِّرُ عنهما؛ كراهيةَ أن يُذكَرَ اللهُ إلَّا في حَقٍّ! قال: وكان يَخرُجُ إلى

---

(57) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٥١) في قوله: ﴿مسني الشيطان﴾ عدة أوجه، فقال: «وقوله – عليه السلام –: ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ يحتمل: أن يشير إلى مسه حين سلَّطه الله عليه حسبما ذكرنا.

ويحتمل أن يريد: مسه إياه حين حمله في أول الأمر على أن يواقع الذنب الذي من أجله كانت المحنة؛ إمّا ترك التغيير عند الملك، وإما ترك مواساة الجار.

وقيل: أشار إلى مسه إيّاه في تعرُّضه لأهله وطلبه منه أن يشرك بالله».

(58) فيَذْكُرانِ اللهَ: أي: يَحلِفان بالله.

حاجتِه، فإذا قضى حاجتَه أمسَكت امرأتُه بيَدِه حتَّى يَبلُغَ، فلمَّا كان ذاتَ يومٍ أبطأ عليها وأُوحِيَ إلى أيُّوبَ في مكانِه أن: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ [ص: 42]، فاستبطَأَتْه فلَقِيَتْه يَنتظِرُ، وأقبَلَ عليها قد أذهَبَ اللهُ ما به مِن البَلاءِ، وهو على أحسَنِ ما كان! فلمَّا رأَتْه قالت: أيْ باركَ اللهُ فيك، هل رأيتَ نبيَّ اللهِ، هذا المُبتلى؟ وواللهِ على ذلك ما رأيتُ أحدًا أشبَهَ به منك إذ كان صَحيحًا! قال: فإنِّي أنا هو. وكان له أنْدَرانِ:[59] أنْدَرٌ للقمحِ، وأندَرٌ للشَّعيرِ، فبعَث اللهُ سَحابتَينِ، فلمَّا كانت إحداهما على أندَرِ القَمحِ أفرَغَت فيه الذَّهَبَ حتَّى فاض، وأفرَغَت الأخرى على أندَرِ الشَّعيرِ الوَرِقَ[60] حتَّى فاض)).[61]

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (303/2).

(59) الأندَرُ: البَيْدَرُ (الجُرْنُ) الَّذي يُجمَعُ فيه الطَّعامُ.

يُنظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (200/5)، ((تاج العروس)) للزَّبيدي (194/14).

(60) الوَرِقَ: أي: الفِضَّةَ.

يُنظر: ((تاج العروس)) للزَّبيدي (458/26).

(61) أخرجه البزار (6333)، وأبو يعلى (3617) واللفظ له، وابن حبان (2898).

صحَّحه ابن حبَّان، والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (17)، والوادعي في ((صحيح دلائل النبوة)) (424)، وقال ابنُ حجر في ((فتح الباري)) (485/6): أصَحُّ ما ورد.

وصحَّحه الحاكمُ على شرطِ الشَّيخَينِ في ((المستدرك)) (4115)، وصَحَّح إسنادَه البوصيريُّ في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (142/7)، وقال شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (2898): إسنادُه على شرطِ مُسلمٍ.

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42).

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ.

أي: فاستَجَبْنا لأيُّوبَ، وقُلْنا له: اضرِبْ برِجْلِك الأرضَ، فحرِّكْها بها وادفَعْها.

هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ.

أي: فضَرَب أيُّوبُ الأرضَ برِجْلِه، فنَبَع منها ماءٌ، فقُلْنا له: هذا ماءٌ بارِدٌ تَغتَسِلُ به، وتَشرَبُ منه.

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43).

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا.

أي: فاغتَسَل أيُّوبُ، وشَرِبَ مِن ذلك الماءِ، فكَشَف اللهُ ما به مِن ضُرٍّ وداءٍ، ووهَبَ له في الدُّنيا أهْلَه، ومِثلَهم معهم؛ رَحمةً مِنَ اللهِ تعالى.

كما قال الله تعالى: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ [الأنبياء: 84].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبِيِّ - ﷺ - قال: ((بَيْنَما أيُّوبُ يغتَسِلُ عُريانًا، خَرَّ عليه رِجْلُ جَرَادٍ[62] مِن ذَهَبٍ، فجعَل يَحْثِي[63] في ثَوبِه، فناداه رَبُّه: يا أيُّوبُ، ألَمْ أكُنْ أغنَيْتُك عمَّا ترى؟! قال: بلى يا رَبِّ، ولكِنْ لا غِنَى لي عن بَرَكَتِك!)).[64]

وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

أي: وتَذكيرًا لأصحابِ العُقولِ الصَّحيحةِ؛ لِيَعتَبِروا ويَتَّعِظوا، فيَقتَدوا بأيُّوبَ في صَبرِه، ويَعلَموا أنَّ عاقِبَةَ الصَّبرِ الفَرَجُ، وأنَّ اللهَ يُجيبُ دُعاءَ عَبدِه إذا دعاه؛ فلا يَيْأسُوا مِن رَحمةِ اللهِ.

كما قال تعالى: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ [الأنبياء: 84].

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44).

---

(62) رِجْلُ جَرادٍ: أي: جماعةٌ مِن جَرادٍ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقسطلاني (5/373).
(63) يَحْثي: أي: يأخُذُ بيَدَيه جميعًا ويَرمي.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقسطلاني (5/373).
(64) رواه البخاري (3391).

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِهِ وَلَا تَحْنَثْ.

أي: وخُذْ بيَدِك -يا أيُّوبُ- حُزمةً مِن حَشيشٍ أو شماريخَ أو نحوِ ذلك، فاضرِبْ بها ضَربةً واحِدةً، فتَبَرَّ بيَمينِك، ولا تَحنَثَ فيما حلَفْتَ عليه مِنَ الضَّربِ.

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا.

أي: إنَّا وجَدْنا أيُّوبَ صابِرًا على البَلاءِ العَظيمِ الَّذي ابتُلِيَ به.

نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ.

أي: نِعْمَ العَبدُ أيُّوبُ؛ فهو كَثيرُ الرُّجوعِ إلى اللهِ تعالى.

سورةُ ص

الآيات (45–48)

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45)

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46)

وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47)

وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (48)

غريب الكلمات:

أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ: أي: أصحابِ القُوَّةِ والبَصائِرِ في الدِّينِ، وأصلُ (أيد): يدُلُّ على القُوَّةِ، وأصلُ (بصر): يدُلُّ على عِلمٍ بالشَّيءِ.

ذِكْرَى الدَّارِ: أي: ذِكرُ الدَّارِ الآخِرةِ، وأصلُ (ذكر): يدُلُّ على خِلافِ النِّسيانِ.

الْمُصْطَفَيْنَ: أي: المُختارينَ، والاصطِفاءُ: تَناوُلُ صَفوِ الشَّيءِ، وأصلُ (صفو): يدُلُّ على خُلوصٍ مِن كُلِّ شَوبٍ.

تفسير الآيات:

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45).

أي: واذكرْ –يا مُحمَّدُ– عِبادَنا إبراهيمَ، وابنَه إسحاقَ، وابنَ ابنِه يَعقوبَ: أصحابَ القُوَّةِ والبَصيرةِ في دينِ اللهِ تعالى.(65)

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46).

(65) اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ على أقوال:

الأول: أن الأيدي القوة في الطاعة، والأبصار: أنهم أهل بصائر في الدين والعلم.

الثاني: أن الأيدي: النعمة.

وقد بيّن ابنُ جرير (٢٠/ ١١٤) أن المعنى: أنهم أهل قوة في الطاعة وأهل بصائر القلوب، فقال: «وقوله: ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ ويعني بالأيدي: القوة، يقول: أهل القوة على عبادة الله وطاعته، ويعني بالأبصار: أنهم أهل إبصار القلوب، يعني به: أولي العقول للحق.

وقد اختلف أهلُ التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضُهم في ذلك نحوًا مما قلنا فيه».

ثم ذكر آثار السلف على هذا.

وقال ابنُ عطية (٧/ ٣٥٥): «وقوله تعالى: ﴿والأَبْصارِ﴾ عبارة عن البصائر، أي: يبصرون الحقائق وينظرون بنور الله تعالى، وبنحو هذا فسَّر الجميعُ».

أي: إنَّا جعَلْناهم خالِصينَ لنا بخصلةٍ خالِصةٍ،[66] لا شَوْبَ فيها، هي تذكُّرُهم دائمًا للدَّارِ الآخرةِ، والعملُ لها، والزُّهدُ في الدُّنيا.[67]

---

(66) اختلف السلف في قوله: ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ على أقوال:

الأول: أنهم كانوا يُذَكِّرون الناسَ بالدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة الله.

الثاني: أنه أخلصهم بعملهم للآخرة، وذكرهم لها.

الثالث: إنا أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة.

الرابع: خالصة عقبى الدار.

الخامس: بخالصة أهل الدار.

السادس: أخلصناهم بالنبوة وذكر الدار الآخرة.

وقد رجح ابنُ جرير (٢٠/ ١١٩) أن المعنى على قراءة ﴿بخالصة﴾ بالتنوين: «إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأطاعوا الله وراقبوه».

ولم يذكر مستندًا، ثم بيّن احتمال الآية للقول الأول على هذه القراءة، فقال: «وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضًا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة؛ لأن ذلك من طاعة الله والعمل للدار الآخرة، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت».

ثم وضَّح أن المعنى على قراءة الإضافة: «إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة؛ فلما لم تذكر في أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بينا قبل في معنى قوله: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ [فصلت: ٤٩]، وقوله: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعاجِهِ﴾ [ص: ٢٤]».

وزاد ابنُ عطية (٧/ ٣٥٦) في معنى الآية قولًا، فقال: «ويحتمل أن يريد بـــ ﴿الدار﴾ دار الدنيا على معنى: ذكر الثناء والتعظيم من الناس، والحمد الباقي الذي هو الخلد المجازي، فتجيء الآية في معنى قوله: ﴿لسان صدق﴾ [الشعراء: ٨٤]، وفي معنى قوله: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ [الصافات: ٧٨، ١٠٨، ١٢٩]».

(67) قال ابنُ جُزَي: (معنى أَخْلَصْنَاهُمْ: جعَلْناهم خالِصينَ لنا، أو أخلَصْناهم دونَ غيرِهم، وخالِصة: صِفةٌ حُذِفَ مَوصوفُها، تقديرُه: بخَصلةٍ خالِصةٍ، وأمَّا الباءُ في قَولِه: بِخَالِصَةٍ فإنْ كان أَخْلَصْنَاهُمْ بمعنى: جعَلْناهم خالِصينَ؛ فالباءُ سَبَبيَّةٌ للتَّعليلِ، وإن كان أَخْلَصْنَاهُمْ بمعنى: خصَصْناهم؛ فالباءُ لِتَعديةِ الفِعلِ).

((تفسير ابن جزي)) (211/2).

وقال أيضًا: (وإن أرادَ بالدَّارِ: الدُّنيا؛ فالمعنى: حُسْنُ الثَّناءِ، والذِّكرُ الجَميلُ في الدُّنيا، كقَولِه: لِسَانَ صِدْقٍ [الشعراء: 84]).

((تفسير ابن جزي)) (211/2).

القراءات ذات الأثر في التفسير:

1- قِراءةُ: بِخَالِصَةِ ذِكْرَى بالإضافةِ. قيل: المعنى: إنَّا أخلَصْناهم بأفضَلِ ما في الدَّارِ الآخرةِ. وقيل: المعنى: نزَعَ اللهُ ما في قُلوبِهم مِن حُبِّ الدُّنيا وذِكرِها، وأخلَصَهم بحُبِّ الآخِرةِ والرَّغبةِ فيها، والزُّهدِ في الدُّنيا. وقيل «خالِصة»: مَصدرٌ بمعنى الإخلاصِ، أي: بإخلاصِهم ذِكرى الدَّارِ. وقيلَ غيرُ ذلك.[68]

2- قراءةُ: بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى بالتَّنوينِ. قيل: المعنى: إنَّا أخلَصْناهم بخالصةٍ هي ذِكْرى الدَّارِ، أي: أنَّهم كانوا يُذَكِّرون النَّاسَ بالدَّارِ الآخرةِ، ويَدْعونهم إلى العملِ لها بطاعةِ اللهِ. وقيل: المعنى: أنَّ اللهَ تعالى قد أخلَصهم بعملِهم للآخرةِ وذِكْرِهم لها، أي: فجعَلَهم له خالِصينَ بالإكثارِ مِن ذِكرِ الآخرةِ، والرُّجوعِ إلى اللهِ. وقيل: الدَّارُ يجوزُ أن يُرادَ بها الدُّنيا، أي: لِيَتذكَّروا الدُّنيا ويَزهَدوا فيها، ولِتَخلص لهم بالثَّناءِ الحسَنِ عليهم، كما قال تعالى: وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا [مريم: 50].[69]

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ القيِّم، فقال: (إنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ أي: خَصَصْناهم بخَصيصةٍ، وهو الذِّكرُ الجميلُ الَّذي يُذْكَرونَ به في هذه الدَّارِ، وهو لِسانُ الصِّدقِ الَّذي سأله إبراهيمُ الخَليلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ حيث قال: وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [الشعراء: 84]، وقال سُبحانَه وتعالى عنه وعن بَنيه: وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا [مريم: 50]).

((الجواب الكافي)) (ص: 80).

(68) قرأ بها نافعٌ وأبو جعفرٍ المَدَنيَّانِ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (361/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (117/20 - 119)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 614)، ((تفسير القرطبي)) (218/15).

(69) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (361/2).

وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47).

أي: وإنَّ إبراهيمَ وإسحاقَ ويَعقوبَ عندَ اللهِ لَمِنَ الَّذين اصطفاهم، ومِن عِبادِه الأخيارِ.[70]

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (20/117 – 119)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/329)، ((تفسير القرطبي)) (15/218).

(70) وقوله: الْأَخْيَارِ قيل: معناه: الَّذين اختارهم اللهُ لِرسالتِه.

وممَّن قال بهذا المعنى: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، وابنُ جرير، والقرطبيُّ، والبيضاوي، والخازن.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/649)، ((تفسير ابن جرير)) (20/120)، ((تفسير القرطبي)) (15/217)، ((تفسير البيضاوي)) (5/31)، ((تفسير الخازن)) (4/45).وقيل: الْأَخْيَارِ جمعُ (خَيِّر) بالتَّشديدِ، والتَّخفيفِ، كأمواتٍ جمع مَيِّتٍ ومَيْتٍ.

وممَّن اختار هذا المعنى في الجملةِ: الواحديُّ، والرسعني، والعُلَيمي، والشوكاني، وابن عثيمين.

يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: 925)، ((تفسير الرسعني)) (6/505)، ((تفسير العليمي)) (6/37)، ((تفسير الشوكاني)) (4/502)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة ص)) (ص: 201).

قال ابن عثيمين: (الخَيِّر على وزنِ فيعلٍ، وهو كثيرُ الخيرِ).

((تفسير ابن عثيمين– سورة ص)) (ص: 201).

وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (48).

أي: واذكُرْ –يا مُحَمَّدُ– إسماعيلَ والْيَسَعَ وذا الكِفْلِ؛ فإنَّ كُلًّا منهم مِنَ الأخيارِ.

كما قال الله تعالى: وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ [الأنعام: 86].

وقال سبحانَه: وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ [الأنبياء: 85].

سورةُ ص

الآيات (49–54)

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49)

جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (50)

مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51)

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (52)

هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53)

إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (54)

غريب الكلمات:

عَدْنٍ: أي: إقامَةٍ وخُلدٍ، واستِقرارٍ وثباتٍ، يُقالُ: عَدَن بالمكانِ، يَعْدِنُ عَدْنًا، إذا لَزِمه، ولم يَبْرَحْ منه، وأصلُ (عدن): يدُلُّ على الإقامةِ.

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ: أي: حابِساتُ الأبصارِ على أزواجِهنَّ، وأصلُ (قصر): يدُلُّ على الحَبسِ.

أَتْرَابٌ: أي: مُتساوِياتٌ في السِّنِّ، وأصلُ (ترب): يدُلُّ على تَساوي شَيئَينِ.

نَفَادٍ: أي: فَناءٍ وانقِطاعٍ، وأصلُ (نفد): يدُلُّ على انقِطاعِ شَيءٍ وفَنائِه.

تفسير الآيات:

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49).

هَذَا ذِكْرٌ.

أي: هذا الَّذي يُتْلَى عليكم ممَّا تقدَّم مِن أوصافِ الأنبياءِ شرَفٌ وثَناءٌ جميلٌ يُذْكَرون به أبدًا، وكيف لا يكونُ شرَفًا والمُثْني عليهم ربُّ العالَمينَ؟! (71)

---

(71) قولُه: هَذَا إشارةٌ إلى ما تقدَّم في هذه السُّورةِ مِن ذِكرِ الأنبياءِ.

وقيل: الإشارةُ إلى القرآنِ بجملتِه.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (2/211)، ((تفسير الشوكاني)) (4/502).

وقال ابنُ عطية: (هَذَا ذِكْرٌ يحتمِلُ معنيَين؛ أحدُهما: أن يُشيرَ إلى مدحِ مَن ذُكِرَ، وإبقاءِ الشَّرَفِ له...، والثَّاني: أن يُشيرَ بهذا إلى القُرآنِ؛ إذ هو ذِكرٌ للعالَمِ).

((تفسير ابن عطية)) (4/510).

ممَّن اختار القولَ الأوَّلَ؛ أنَّ الذِّكرَ بمعنى الشَّرفِ والثَّناءِ الجميلِ: الزَّجَّاجُ، والواحديُّ، وابنُ الجوزي، والرسعني، والقرطبي، والعليمي، وأبو السعود، والشوكاني، والقاسمي.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (4/337)، ((الوسيط)) للواحدي (3/562)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/579)، ((تفسير الرسعني)) (6/506)، ((تفسير القرطبي)) (15/219)، ((تفسير العليمي)) (6/38)، ((تفسير أبي السعود)) (7/231)، ((تفسير الشوكاني)) (4/502)، ((تفسير القاسمي)) (8/267).

قال الألوسي: (وشاع الذِّكرُ بهذا المعنى [أي: الشَّرفِ]؛ لأنَّ الشَّرفَ يَلزَمُه الشُّهرةُ والذِّكرُ بيْنَ النَّاسِ، فتُجُوِّزَ به عنه بعَلاقةِ اللُّزومِ، والمرادُ: في ذِكرِ قَصَصِهم وتنويهِ اللهِ تعالى بهم شَرَفٌ عَظيمٌ لهم).

((تفسير الألوسي)) (12/203).

ويُنظر: ((حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)) (7/315).

وممَّن اختار أنَّ الذِّكرَ هنا بمعنى التَّذكيرِ: ابنُ جرير، ومكِّي، وابنُ كثير، ورجَّحه ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/120)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (10/6270)، ((تفسير ابن كثير)) (7/77)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 204).

وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ.

أي: وإنَّ للَّذين يَتَّقون سَخَطَ اللهِ وعَذابَه، بامتِثالِ أوامِرِه، واجتِنابِ نواهيه: لَحُسْنَ مَرجِعٍ يَصيرونَ إليه في الآخِرةِ.

جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (50).

جَنَّاتِ عَدْنٍ.

قال ابنُ كثير: (وقَولُه: هَذَا ذِكْرٌ أي: هذا فَصلٌ فيه ذِكرٌ لِمَن يَتذَكَّرُ).

((تفسير ابن كثير)) (77/7).

وقال البِقاعي: (هَذَا أي: ما تَلَوْناه عليك مِن أمورِهم وأمورِ غَيرِهم ذِكْرٌ أي: شَرَفٌ في الدُّنيا، ومَوعِظةٌ مِن ذِكرِ القُرآنِ ذي الذِّكرِ).

((نظم الدرر)) (400/16).

وقيل: المعنى: هذا المذكورُ مِن الآياتِ نوعٌ مِن الذِّكرِ الَّذي هو القرآنُ، وذَكَرَ ذلك للانتقالِ مِن نوعٍ مِن الكلامِ إلى آخَرَ.

وممَّن اختار هذا المعنى في الجملةِ: الزمخشريُّ، والرازيُّ، وابنُ جُزَي، وأبو حيَّان.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (100/4)، ((تفسير الرازي)) (401/26)، ((تفسير ابن جزي)) (211/2)، ((تفسير أبي حيان)) (166/9).

قال الرَّازيُّ في بيانِ هذا الوَجهِ: إنَّ اللهَ تعالى (إنَّما شرَحَ ذِكرَ أحوالِ هؤلاء الأنبياءِ عليهم السَّلامُ؛ لأجْلِ أن يَصبِرَ مُحَمَّدٌ عليه السَّلامُ على تحمُّلِ سَفاهةِ قَومِه، فلمَّا تمَّ بيانَ هذا الطَّريقِ، وأراد أن يَذكُرَ عَقيبَه طَريقًا آخَرَ يُوجِبُ الصَّبرَ على سَفاهةِ الجُهَّالِ، وأراد أن يُمَيِّزَ أحَدَ البابَينِ عن الآخَرِ: لا جَرَمَ قال: هَذَا ذِكْرٌ، ثمَّ شرَعَ في تقريرِ البابِ الثَّاني، فقال: وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ، كما أنَّ المصَنِّفَ إذا تمَّم كلامًا قال: هذا بابٌ، ثمَّ شَرَعَ في بابٍ آخَرَ، وإذا فَرَغ الكاتِبُ مِن فَصلٍ مِن كِتابِه وأراد الشُّروعَ في آخَرَ، قال: هذا وقد كان كَيْتَ وكَيْتَ، والدَّليلُ عليه أنَّه لَمَّا أتمَّ ذِكرَ أهلِ الجنَّةِ وأراد أن يُردِفَه بذِكرِ أهلِ النَّارِ قال: هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ [ص: 55]).

((تفسير الرازي)) (401/26).

أي: لهم حُسنُ مآبٍ، وهو جنَّاتُ إقامةٍ دائِمةٍ، يَبقَونَ فيها أبدًا، فلا يُخرَجونَ مِنها، ولا يُريدونَ التَّحوُّلَ عنها.

مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ.

أي: مُفتَّحةً لهم أبوابُها.

مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51).

أي: مُتَّكِئينَ في تلك الجنَّاتِ، يَطلُبونَ فيها فَواكِهَ كثيرةً مِن فاكِهةِ الجنَّةِ، وشَرابًا مِن شَرابِها.

كما قال تعالى: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ [يس: 55 – 57].

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (52).

أي: وعندَ المُتَّقينَ فيها نِساءٌ قاصِراتٌ أطرافَهنَّ على أزواجِهنَّ، فلا يَرينَ سِواهم، ولا يُرِدْنَ غيرَهم، وهُنَّ شابَّاتٌ مُتَساوياتٌ أعمارُهنَّ.(72)

(72) ممَّن اختار أنهنَّ أترابٌ بَعضُهنَّ لِبَعضٍ، مستوياتُ الأسنانِ فهُنَّ في سِنٍّ واحدةٍ: ابنُ جرير، والزَّجَّاجُ، والبغويُّ، وأبو حيَّان، وابن كثير، والسعدي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (123/20)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (338/4)، ((تفسير البغوي)) (74/4)، ((تفسير أبي حيان)) (167/9)، ((تفسير ابن كثير)) (78/7)، ((تفسير السعدي)) (ص: 715)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (520/7).

كما قال الله تبارك وتعالى: وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ [الصافات: 48، 49].

وقال سُبحانَه: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا [النبأ: 31 – 33].

هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53).

أي: هذا الجَزاءُ المذكورُ هو ما يَعِدُكم اللهُ به –أيُّها المُتَّقونَ– لِيَومِ الحِسابِ؛ جَزاءً لكم على أعمالِكم الصَّالحةِ.

إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (54).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ، ومحمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ، ومجاهدٌ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (123/20)، ((تفسير ابن كثير)) (78/7)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (199/7).
وقيل: هُنَّ أترابٌ لأزواجِهنَّ؛ أسنانُهنَّ كأسنانِهم.
وممَّن اختار هذا المعنى: أبو القاسمِ النَّيسابوريُّ، والنسفي.
يُنظر: ((إيجاز البيان عن معاني القرآن)) لأبي القاسم النيسابوري (716/2)، ((تفسير النسفي)) (160/6).
وممَّن جمَع بيْن المعنيَينِ فقال: المرادُ أنَّهنَّ أترابٌ بعضُهنَّ لبعضٍ، وأنَّهنَّ أترابٌ لأزواجِهنَّ أيضًا: البِقاعي، وابنُ عاشور.
يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (403/16)، ((تفسير ابن عاشور)) (283/23).
ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عثيمين– سورة ص)) (ص: 207).
قال ابن عاشور: (الظَّاهِرُ أنَّ أَتْرَابٌ وَصْفٌ قائِمٌ بجميعِ نِساءِ الجنَّةِ مِن مخلوقاتِ الجنَّةِ، ومِن النِّساءِ اللَّاتي كُنَّ أزواجًا في الدُّنيا لأصحابِ الجنَّةِ؛ فلا يكونُ بعضُهنَّ أحسَنَ شَبابًا مِن بَعضٍ، فلا يَلحَقُ بعضَ أهلِ الجنَّةِ غَضٌّ إذا كانت نساءُ غيرِه أجَدَّ شَبابًا، ولِئلَّا تَتفاوَتَ نِساءُ الواحِدِ مِن المتَّقينَ في شَرخِ الشَّبابِ، فيَكونَ النَّعيمُ بالأقلِّ شَبابًا دونَ النَّعيمِ بالأجَدِّ مِنهنَّ).
((تفسير ابن عاشور)) (283/23).

أي: إنَّ هذا الجزاءَ المَذكورَ للمُتَّقينَ في الجنَّةِ لَرِزقُنا الَّذي نُعطيهم إيَّاه؛ كرامةً مِنَّا لهم، ليس له زَوالٌ ولا انقِطاعٌ عنهم أبَدًا.

كما قال تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ [هود: 108].

سورةُ ص

الآيات (55–64)

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (55) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (56)

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (57) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (58)

هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ

أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60)

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (61)

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62)

أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (63)

إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64)

غريب الكلمات:

لِلطَّاغِينَ: أي: الضَّالِّينَ المُتجاوِزينَ الحَدَّ، وأصلُ الطُّغيانِ: مُجاوَزةُ الحَدِّ في العِصيانِ.

فَبِئْسَ: بئسَ: كلمةٌ موضوعةٌ لإنشاءِ الذَّمِّ، مستوفيةٌ لجميعِه.

الْمِهَادُ: أي: الفِراشُ والقَرارُ، والمَهدُ: ما يُهيَّأُ للصَّبيِّ، وأصلُ المهادِ: المكانُ المُمَهَّدُ المُوطَّأُ.

حَمِيمٌ: أي: ماءٌ شَديدُ الحَرارةِ، وأصلُ (حمم): يدُلُّ على الحَرارةِ.

وَغَسَّاقٌ: أي: ما يَسيلُ مِن جُلودِ أهلِ النَّارِ، وهو الصَّديدُ، مِن قَولِهم: غَسَقَتْ عَينُه: إذا انصَبَّتْ، والغَسَقانُ: الانصِبابُ. وقيل: هو الزَّمهريرُ الَّذي انتهَى بَرْدُه، يُحرِقُهم ببَرْدِه كما تُحرِقُهم النَّارُ بحَرِّها.

شَكْلِهِ: أي: مِثْلِه وضَرْبِه ونَظيرِه، وأصلُ (شكل): يدُلُّ على مُماثَلةٍ.

أَزْوَاجٌ: أي: أنواعٌ وأصنافٌ، يُقالُ لِكُلِّ ما يَقترِنُ بآخَرَ مُماثِلًا له أو مُضادًّا: زَوجٌ، وأصلُ (زوج): يَدُلُّ على مُقارَنةِ شَيءٍ لِشَيءٍ.

فَوْجٌ: أي: فِرقةٌ وجماعةٌ، وأصلُ (فوج): يدُلُّ على تَجمُّعٍ.

مُقْتَحِمٌ: أي: داخِلٌ كُرهًا، والاقتِحامُ: الدُّخولُ في الشَّيءِ بشِدَّةٍ وصُعوبةٍ، وأصلُ (قحم): يدُلُّ على وُرودِ الشَّيءِ بدونِ رَوِيَّةٍ.

صَالُوا النَّارِ: أي: مُقاسو حَرِّها وشِدَّتِها، وأصلُ الصلي: الإيقادُ بالنَّارِ.

زَاغَتْ: أي: عدَلتْ ومالَتْ، وأصلُ الزيغِ: المَيلُ عن الاستقامةِ.

تفسير الآيات:

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآَبٍ (55).

هَذَا.

أي: هذا الَّذي ذُكِرَ مِن الجزاءِ هو شَأنُ المتَّقينَ.

وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآَبٍ.

أي: وإنَّ لِلَّذين لم يَصبِروا على ما أُمِروا به، واجتِنابِ ما نُهُوا عنه، فتَجاوَزوا حُدودَ اللهِ بالكُفرِ والظُّلمِ ومَعصيةِ اللهِ تعالى: لَشَرَّ مَرجِعٍ يَصيرونَ إليه في الآخِرةِ.

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (56).

أي: وهو جهنَّمُ، فيَدخُلونَها ويُقاسُونَ حَرَّها، فبِئسَ الفِراشُ الَّذي افتَرَشوه لأنفُسِهم في الآخِرةِ؛ بسَبَبِ طُغيانِهم في الدُّنيا.

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (57).

أي: هذا ماءٌ بالِغُ الحَرارةِ، وصديدٌ يَسيلُ مِن أجسادِ أهلِ النَّارِ،(73) فلْيَذوقُوه!

(73) اختلف السلف في الغساق على أقوال:

الأول: أنه ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم.

وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (58).

أي: ولهم عَذابٌ آخَرُ مِن نحوِ الحَميمِ والغَسَّاقِ، وعلى شاكِلتِه، ذو أنواعٍ وأصنافٍ يُعذَّبونَ بها.

كما قال تعالى: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ *كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ *كَغَلْيِ الْحَمِيمِ [الدخان: 43 – 46].

وعن أبي هُرَيرةَ رضي اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ –قال: ((الميِّتُ تحضُرُه الملائِكةُ، فإذا كان الرَّجُلُ صالحًا قالوا: اخرُجي أيَّتُها النَّفسُ الطَّيِّبةُ... وإذا كان الرَّجُلُ السَّوءُ قال: اخرُجي أيَّتُها النَّفسُ الخَبيثةُ كانت في الجَسَدِ الخَبيثِ، اخرُجي ذميمةً، وأبْشِري بحَميمٍ وغَسَّاقٍ وآخَرَ مِن شَكلِه أزواجٍ، فلا يَزالُ يُقالُ لها ذلك حتَّى تَخرُجَ، ثمَّ يُعرَجُ بها إلى السَّماءِ، فلا يُفتحُ لها، فيُقالُ: مَن هذا؟ فيُقالُ: فُلانٌ، فيُقالُ: لا مَرحبًا بالنَّفسِ الخَبيثةِ كانت في الجسَدِ الخَبيثِ، ارجِعي ذَميمةً؛ فإنَّها لا تُفتَّحُ لكِ أبوابُ السَّماءِ، فيُرسَلُ بها مِنَ السَّماءِ، ثمَّ تَصيرُ إلى القَبرِ)).(74)

الثاني: أنه البارد الذي لا يستطاع من برده.

الثالث: أنه المنتن.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٠/ ١٣٠) مستندًا إلى الأغلب لغةً القول الأول، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قولُ مَن قال: هو ما يسيل من صديدهم.

لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق، وإن كان للآخر وجه صحيح».

(74) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (11442)، وابن ماجه (4262) واللفظ له، وأحمد (8769).

صَحَّح الحديثَ الذهبيُّ في ((العرش)) (29)، وابنُ القيِّم في ((الروح)) (589/2)، والألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (4262).

هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (59).

هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ.

أي: هذه جَماعةٌ كَبيرةٌ مُقتَحِمونَ النَّارَ معكم.[75]

لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ.

أي: لا اتَّسَعَت مَداخِلُهم ومَنازِلُهم في النَّارِ؛ إنَّهم داخِلوها ومُقاسُونَ حَرَّها.

قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60).

قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا.

أي: قال لهم الفَوجُ الدَّاخِلونَ النَّارَ: بل أنتم لا اتَّسَعَتْ بكم أماكِنُكم؛ فأنتم دَعَوْتُمونا في الدُّنيا إلى الضَّلالِ الَّذي أفضَى بنا في الآخِرةِ إلى هذا المصيرِ![76]

وصَحَّح إسنادَه ابنُ جرير في ((تهذيب الآثار- مسند عمر)) (2/491، 503).

(75) قال ابنُ عطية (٧/ ٣٥٩): «والأظهر أن قائل ذلك لهم: ملائكة العذاب، وهو الذي حكاه الثعلبي وغيره، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض».

(76) ذكر ابنُ القيم (٢/ ٣٨٣ - ٣٨٤) في عود الضمير من قوله: ﴿قدمتموه﴾ قولين، وعلّق عليهما، فقال: «وفي الضمير قولان: أحدهما: أنّه ضمير الكفر والتكذيب ورد قول الرسول - ﷺ - واستبدال غيره به، والمعنى: أنتم زينتم لنا الكفر ودعوتمونا إليه وحسنتموه لنا، وقيل على هذا القول: أنه قول الأمم المتأخرين للمتقدمين، والمعنى على هذا: أنتم شرعتم لنا تكذيب الرسل ورد ما جاءوا به والشرك بالله؟، وبدأتم به وتقدمتمونا إليه فدخلتم النار قبلنا فبئس القرار، أي: بئس المستقر والمنزل.

والقول الثاني: أن الضمير في قوله: ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ ضمير العذاب وصُليّ النار، والقولان متلازمان، وهما حقٌّ».

فَبِئْسَ الْقَرَارُ.

أي: فبِئسَ المُستَقَرُّ النَّارُ.

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (61).

أي: وقال الأتْباعُ: ربَّنا مَن أضَلَّنا في الدُّنيا فكان سَبَبًا في استِحقاقِنا عذابَ النَّارِ، فضاعِفْ له العذابَ فيها زيادةً على عَذابِه.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62).

أي وقال الطَّاغُونَ: ما بالُنا لا نرى مَعَنا رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهم في الدُّنيا أشرارًا لا خَلاقَ لهم، يَعنُونَ بذلك المؤمنينَ؟!

أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (63).

أي: أكان تحقيرُنا إيَّاهم في الدُّنيا وسخريتُنا واستهزاؤُنا منهم خطأً؛ فلم يَكونوا كذلك، وما دخَلوا النَّارَ معَنا، أم مالَتْ عنهم أبصارُنا، فلا نَراهم وهم في النَّارِ قد دخَلوها معَنا؟[77]

---

(77) قال ابنُ عطيةَ: (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا بألِفِ الاستفهامِ، ومعناها: تقريرُ أنفُسِهم على هذا على جهةِ التَّوبيخِ لها والأسَفِ). ((تفسير ابن عطية)) (512/4).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (137/20)، ((تفسير السمعاني)) (451/4).قال ابن جزي: (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ هذا يحتمِلُ ثلاثةَ أوجهٍ: أحدُها: أنْ يكونَ معادِلًا لقولِهم: مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا، والمعنى: ما لنا لا نراهم في جهنَّمَ، فهم ليسوا فيها، أم هم فيها ولكِنْ زاغَتْ عنهم أبصارُنا؟ ومعنى زَاغَتْ عَنْهُمُ مالت فلم نرَهم.

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ [المطففين: 29 – 32].

القراءات ذات الأثر في التفسير:

أ– قولُه: أَتَّخَذْنَاهُمْ فيه قراءتانِ:

1– قِراءةُ: اتَّخَذْنَاهُمْ بوصلِ الهَمزةِ، فتكونُ جُملةً خَبريَّةً، أي: إنَّا اتَّخَذْناهم سِخْرِيًّا.[78]

2– قِراءةُ: أَتَّخَذْنَاهُمْ بقَطعِ الهَمزةِ على الاستِفهامِ، بمعنى: هل اتَّخَذْناهم سِخْرِيًّا، ولم يكونوا كذلك؟![79]

ب– قولُه: سِخْرِيًّا فيه قراءتانِ:

الثاني: أنْ يكونَ معادلًا لقولِهم: أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا والمعنى: أتَّخذناهم سخريًّا.

و«أم زاغت الأبصار» على هذا: مالت عن النَّظرِ إليهم احتقارًا لهم.

الثالث: أنْ تكونَ «أم» منقطعةً بمعنى «بل والهمزةِ» فلا تعادلُ شيئًا مما قبلَها.

((تفسير ابن جزي)) (212/2).

(78) قرأ بها أبو عَمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، ويعقوبُ، وخلَفٌ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (361/2، 362).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (136/20)، ((معاني القراءات)) للأزهري (331/2، 332).

(79) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (361/2، 362).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (331/2، 332)، ((تفسير ابن عطية)) (512/4).

1- قِراءةُ: سُخْرِيًّا بضَمِّ السِّينِ. قيل: مِنَ السُّخرةِ والاستِخدامِ. وقيل: هي بمعنى الاستِهزاءِ كالقِراءةِ الأُخرى.(80)

2- قِراءةُ: سِخْرِيًّا بكَسرِ السِّينِ. بمعنى: الاستِهزاءِ.(81)

إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64).

أي: إنَّ ذلك الَّذي ذُكِر مِن مُراجَعاتِ أهلِ النَّارِ فيما بيْنَهم، ودُعاءِ بَعضِهم على بَعضٍ: لَحَقٌّ وصِدقٌ ثابِتٌ لا بُدَّ أن يقَعَ يومَ القيامةِ كما أخبَرَ اللهُ تعالى عنهم.

---

(80) قرأ بها نافعٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو جعفرٍ، وخلَفٌ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/329).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (17/126، 127)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/196، 197)، ((تفسير ابن عطية)) (4/512)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (8/371، 372).

(81) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/329).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (17/126، 127)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/196، 197)، ((تفسير ابن عطية)) (4/512)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (8/371، 372).

سورةُ ص

الآيات (65–70)

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (65)

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (66)

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67)

أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68)

مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69)

إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70)

تفسير الآيات:

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (65).

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ.

أي: قُلْ –يا مُحَمَّدُ– لِقَومِك المُشرِكينَ: إنَّما أنا مُنذِرٌ أُنذِرُكم عذابَ اللهِ على كُفرِكم به.

وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

أي: وما مِن مَعبودٍ تَصلُحُ له العِبادةُ إلَّا اللهُ الواحِدُ الَّذي لا شَريكَ له، القَهَّارُ الَّذي قهَرَ كُلَّ شَيءٍ بقُدرتِه.

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (66).

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

أي: خالِقُ ومالِكُ السَّمَواتِ والأرضِ وما بَيْنَهما مِنَ الخَلقِ، المُتصَرِّفُ في ذلك كُلِّه.

الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ.

أي: العَزيزُ ذو القَدْرِ العَظيمِ، الَّذي يَغلِبُ كُلَّ شَيءٍ ولا يَغلِبُه شَيءٌ، المُمتنِعُ عليه كُلُّ عَيبٍ ونَقصٍ؛ الغَفَّارُ الَّذي يَستُرُ ذُنوبَ عِبادِه، ويَتجاوَزُ عن مُؤاخَذتِهم بها.

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67).

أي: قُلْ -يا مُحمَّدُ- لِقَومِك المُكَذِّبينَ: هذا القُرآنُ -المُشتَمِلُ على توحيدِ اللهِ، وإثباتِ رِسالتي، ووُقوعِ البَعثِ والجَزاءِ بعدَ الموتِ، وغيرِ ذلك- خبَرٌ عَظيمٌ.

أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68).

أي: أنتم مُنصَرِفونَ عن تَصديقِه، وقَبولِه، وتَدَبُّرِه، والعمَلِ به.

كما قال تعالى: وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [الفرقان: 30].

مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69).

أي: لولا وَحيُ اللهِ إليَّ لَمَا عَلِمْتُ باختِلافِ الملائِكةِ في السَّماءِ في شأنِ آدَمَ؛ فإخباري بذلك دَليلٌ واضِحٌ على صِدقِ نُبُوَّتي، وأنَّ القُرآنَ حَقٌّ مِن عندِ اللهِ تعالى.(82)

---

(82) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٦٢) اختلاف الناس في تفسير قوله: ﴿إذ يختصمون﴾ على قولين:
الأول: أن اختصامهم في أمر آدم وذريته في جعلهم في الأرض.
الثاني: قال ابن عطية: «وقالت فرقة: بل اختصامهم في الكفارات وغفر الذنوب ونحوه، فإن العبد إذا فعل حسنة اختلف الملائكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي الله بما شاء، وورد في هذا حديث فسره ابن فورك لأنه يتضمن أن النبي - ﷺ - قال له ربه - عز وجل - في نومه: فيم يختصمون؟ فقلت: لا أدري.
فقال: في الكفارات، وهي إسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الخطى إلى الجماعات...
الحديث بطوله».
وعلّق ابنُ عطية (٧/ ٣٦٢) على القول الأول بقوله: «ويدل على ذلك ما يلي من الآيات».
وزاد ابنُ عطية (٧/ ٣٦٣) في معنى الآية قولين آخرين، فقال: «وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿بالملإ الأعلى﴾: الملائكة.

كما قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [البقرة: 30 – 34].

إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70).

أي: قُلْ –يا مُحَمَّدُ– لِمُشرِكي قُرَيشٍ: ما يُوحي اللهُ إليَّ ما لم أكُنْ أعلَمُه مِن اختِصامِ الملأِ الأعلى إلَّا لأنِّي نَذيرٌ لكم ظاهِرُ النِّذارةِ، أُنذِرُكم بما يُوحَى إليَّ إنذارًا واضِحًا لا لَبْسَ فيه.[83]

وقوله: ﴿إذ يختصمون﴾ مقطوع منه، معناه: إذ تختصم العرب الكافرة في الملإ، فيقول بعضها: هي بنات الله.
ويقول بعضها: هي آلهة تعبد.
وغير ذلك من أقوالهم.
وقالت فرقة: أراد بـ ﴿الملأ الأعلى﴾: قريشًا».
وانتقد الثاني بقوله: «وهذا قول ضعيف لا يتقوى من جهة».

(83) ذكر ابنُ جرير (٢٠/ ١٤٢ – ١٤٣ بتصرف) في قوله: ﴿إن يوحى إلي أنما انا نذير مبين﴾ وجهين من التأويل، فقال:
«وقوله: ﴿إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين﴾ يقول –تعالى ذكره– لنبيه محمد – ﷺ –: قل –يا محمد– لمشركي قريش: ما يوحي الله إليَّ عِلْمَ ما لا علم لي به، مِن نحو العلم بالملأ الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خلقه، إلا لأني إنما أنا نذير مبين.
فـ ﴿أنما﴾ على هذا التأويل في موضع خفض على قول مَن كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته.

سورةُ ص

الآيات (71–85)

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي
فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ
مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ
كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ
فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي
إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ
فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)

وإما على قول مَن رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض، فإنه على مذهبه نصب.
وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر، وهو أن يكون معناه: ما يوحي الله إلي إنذاركم.
وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى كانت ﴿أنما﴾ في موضع رفع؛ لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى: ما يوحى إلي إلا الإنذار».

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84)

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)

غريب الكلمات:

فَقَعُوا: أي: فَخِرُّوا له، والوقوعُ: يدُلُّ على سُقوطِ شيءٍ.

إِبْلِيسَ: هو أبو الشَّياطينِ، وأصْلُ الإبلاسِ: اليأسُ، والحُزنُ المعترِضُ مِن شِدَّةِ اليأسِ، ومِنه اشتُقَّ إبليسُ.

وقيل: هو اسمٌ أعجميٌّ.

رَجِيمٌ: أي: مَطرودٌ مِن رحمةِ اللهِ تعالَى، وأصلُ الرَّجمِ: الرَّميُ بالحِجارةِ، ثم تُؤخَذُ منه بقيَّةُ المعاني.

فَأَنْظِرْنِي: أي: أخِّرْني، وأصْلُ (نظر): يدُلُّ على تأمُّلِ الشَّيءِ ومُعايَنته.

لَأُغْوِيَنَّهُمْ: أي: لأُضِلَّنَّهم، ولأستدْعِيَنَّهم إلى المعاصي، ولأُزَيِّنَنَّ لهم، والغَيُّ: الجَهلُ والانهِماكُ في الباطِلِ، وأصلُ (غوي): يدُلُّ على خِلافِ الرُّشدِ، وإظلامِ الأمْرِ.

تفسير الآيات:

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71).

أي: ما كان لِيَ مِن عِلمٍ باختِصامِ الملأِ الأعْلَى حِينَ قال اللهُ تعالى للمَلائِكةِ: إِنِّي سأخْلُقُ بَشَرًا مِن طِينٍ، هو آدَمُ عليه السَّلامُ.(84)

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72).

أي: فإذا اكتَمَل خَلْقُ آدَمَ، وصار جَسَدًا تامًّا مُتقَنًا، ونَفَخْتُ فيه الرُّوحَ التي هي مِن خَلقِي، فخِرُّوا على الأرضِ ساجِدينَ لآدَمَ؛ تحيَّةً له وتَكريمًا وتَعظيمًا.(85)

---

(84) قال ابنُ عطية (٧/ ٣٦٣): «و﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ بدل من قوله: ﴿إِذْ﴾ الأولى على تأويل مَن رأى الخصومة في شأن مَن يستخلف في الأرض، وعلى الأقوال الأُخَر يكون العامل في ﴿إِذْ﴾ الثانية فعل مضمر، تقديره: واذكر إذ قال».

(85) قال النيسابوريُّ: (لا خِلافَ في أنَّ الإضافةَ في قَولِه تعالَى: رُوحِي للتَّشريفِ والتكريمِ، مِثلُ: ناقةِ اللهِ، وبيتِ اللهِ).

((تفسير النيسابوري)) (220/4).

ويُنظر: ((الرُّوح)) لابن القيّم (ص: 154 – 156).

وقال الواحديُّ: (قال الكلبي: فخِرُّوا له ساجِدينَ سَجدةَ تحيَّةٍ، ولم تكُنْ سَجدةَ طاعةٍ، ونحوَ هذا قال جميعُ المفَسِّرينَ).

((البسيط)) (601/12).

وقال ابنُ العربيّ: (اتَّفقت الأمَّةُ على أنَّ السُّجودَ لآدمَ عليه السلامُ لم يكُنْ سجودَ عِبادةٍ).

((أحكام القرآن)) (27/1)، ونقَل الرازي أيضًا الإجماعَ على ذلك.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (427/2).

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73).

أي: فلمَّا خلَقَ اللهُ آدمَ ونفَخَ فيه الرُّوحَ، سَجَد كلُّ الملائِكةِ لآدَمَ؛ امتِثالًا لأمْرِ اللهِ تعالَى.

إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74).

إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ.

أي: إلَّا[86] إبليسَ تَكبَّرَ عن السُّجودِ لآدَمَ؛ تعَظُّمًا وأنَفةً.

كما قال تعالَى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [البقرة: 34].

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

أي: وكان إبليسُ مِن الكافِرينَ.[87]

---

(86) قال الشوكانيُّ: (الاستِثناءُ مُتَّصِلٌ على تَقديرِ أنَّه كان متَّصِفًا بصفاتِ الملائكةِ، داخِلًا في عدادِهم، فغُلِّبوا عليه. أو مُنقَطِعٌ على ما هو الظَّاهِرُ مِن عدَمِ دُخولِه فيهم، أي: لكِنْ إبليسُ استكبَرَ).
((تفسير الشوكاني)) (4/510).

(87) قال ابنُ عطية (٧/ ٣٦٣ – ٣٦٤): «وقوله تعالى: ﴿وكانَ مِنَ الكافِرينَ﴾ يحتمل أن يريد به: وكان من أول أمره من الكافرين في علم الله تعالى.
قاله ابن عباس.
ويحتمل أن يريد: ووجد عند هذه الفعلة من الكافرين.
وعلى القولين فقد حكم الله على إبليس بالكفر، وأخبر أنه كان عقد قلبه في وقت الامتناع».

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75).

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ.

أي: قال اللهُ: يا إبليسُ، أيُّ شَيءٍ مَنَعَك من السُّجودِ لِلَّذي كرَّمتُه بخَلْقِه بيدَيَّ؟[88]

قال الشوكاني: (كان استكبارُه استكبارَ كُفرٍ، فلذلك كان مِن الكافرينَ أي: صار مِنهم بمُخالَفتِه لأمرِ اللَّهِ واستكبارِه عن طاعَتِه، أوْ كان مِن الكافرينَ في عِلْمِ اللَّهِ سُبحانَه).

((تفسير الشوكاني)) (4/510).

ممن ذهَب إلى أنَّ المرادَ: كان قدْ سبَق في عِلمِ اللهِ أنَّه مِن الكافِرينَ: مقاتلُ بنُ سليمان، وابنُ جرير، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/653)، ((تفسير ابن جرير)) (20/144)، ((تفسير السعدي)) (ص: 717).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباس.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/145).

وممن ذهب إلى أن المعنى: صارَ مِن الكافِرينَ بإباء الأمرِ: النسفي.

يُنظر: ((تفسير النسفي)) (3/164).

قال ابن عاشور: (فعلُ «كانَ» الَّذي وقَع في هذا الكلامِ حِكايةً لكفرِه الواقعِ في ذلك الوَقتِ).

((تفسير ابن عاشور)) (23/301)، ويُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (9/174).

وقال الزمخشري: (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ أُريدَ وُجودُ كُفرِه ذلك الوَقتَ، وإن لم يكُنْ قَبْلَه كافِرًا، لأنَّ «كانَ» مُطلَقٌ في جِنسِ الأوقاتِ الماضيةِ؛ فهو صالحٌ لأيِّها شئتَ، ويجوزُ أن يرادَ: وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ في الأزمنةِ الماضيةِ في عِلمِ اللهِ).

((تفسير الزمخشري)) (4/105).

وقال ابنُ كثير: (امتثَلَ الملائكةُ كُلُّهم ذلك سوى إبليسَ، ولم يكنْ منهم جِنسًا، كان مِن الجِنِّ فخانه طَبعُه وجِبِلَّتُه أحوَجَ ما كان إليه، فاستَنكفَ عن السُّجودِ لآدَمَ، وخاصَمَ رَبَّه عزَّ وجلَّ فيه!).

((تفسير ابن كثير)) (7/81).

(88) عن عبد الله بن عمر –من طريق مجاهد– قال: خلق الله أربعًا بيده: العرش، وجنات عدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء: كن.

فكان.

واحتجب من خلقه بأربعة: بنار وظلمة، ونور وظلمة

أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٥ بنحوه، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٣٠)، والبيهقي (٦٩٣).

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ.

أي: هل تَعظَّمتَ عن السُّجودِ لآدمَ، وحدَث لك الاستِكبارُ الآنَ، فتركتَ السُّجودَ له، أمْ كُنتَ كذلك مِن قَبلُ مِن المتكبِّرينَ العالِينَ، ممَّنْ لا يَليقُ أنْ تُكلَّفَ مِثلَ هذا؛ لعلوِّ مكانِك.

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76).

أي: قال إبليسُ مُجيبًا ربَّه: أنا خيرٌ مِن آدَمَ؛ لأنَّك خلَقْتَني مِن نارٍ، وخلَقْتَ آدَمَ مِن طِينٍ؛ فلَمْ أسجُدْ له.

كما قالَ تعالَى: قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [الأعراف: 12].

ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٦٤) هذا القول، ثم علّق قائلًا: «وهذا إن صحَّ فإنما ذُكِر على جهة التشريف للأربعة، والتنبيه منها، وإلا فإذا حققنا النظر فكل مخلوق هو بالقدرة التي بها يقع الإيجاد بعد العدم».

وما قاله ابن عطيه باطل، والحق إثبات صفة اليدين لله تعالى على ما يليق بكماله وعظمته وجلاله، وهو إجماع السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

ينظر: الشريعة ٣/ ١١٤٧ - ١١٧٧، والإبانة ٣/ ٩١ - ١٣١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٤٥١ - ٤٨٠.

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77).

أي: قال اللهُ لإبليسَ: فاخرُجْ مِن الجَنَّةِ؛[89] فإنَّك مَرجومٌ.

وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78).

أي: وإنَّ طَرْدي وإبعادي لك مِن رَحمتي: مُستَمِرٌّ وحاقٌّ عليك إلى يَومِ القِيامةِ؛ إذ يُجازَى العِبادُ، ويُلاقي فيه إبليسُ جَزاءَه.

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79).

أي: قال إبليسُ: رَبِّ فأخِّرْ أجَلي وأمْهِلْني ولا تُعَذِّبْني إلى اليَومِ الذي تَبعَثُ فيه خَلْقَك.[90]

---

(89) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٦٦) في قوله: ﴿فاخرج منها﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: اخرج من الجنة.

كما في قول مقاتل.

الثاني: اخرج من السماء.

الثالث: اخرج من الخلقة التي أنت فيها، ومن صفات الكرامة التي كانت له.

ثم علّق على القول الأول، فقال: «فإنما أمَرَه أمرًا يقتضي بُعده عن السماء، ولا خلاف أنه أهبط إلى الأرض».

(90) ذكر ابنُ عطية (٧/ ٣٦٦) اختلافًا في قوله: ﴿فانظرني إلى يوم يبعثون﴾ هل أسعفه الله في طلبته وأخّره إلى يوم القيامة، أم لا؟ على قولين:

الأول: أنه أسعفه.

الثاني: أنه لم يسعفه.

ورجّح الأول بقوله: «وهذا هو الأصح من القولين».

ولم يذكر مستندًا.

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80).

أي: قال اللهُ لإبليسَ: فإنَّك مِنَ المؤخَّرين المُمهَلين.

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81).

أي: إلى اليَومِ الذي يَموتُ فيه الخلائِقُ، وهو وَقتُ النَّفخةِ الأُولى.

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82).

أي: قال إبليسُ: فبعِزَّتِك[91] لأُضِلَّنَّ آدَمَ وذُرِّيَّته أجمَعين.

كما قال تعالَى حكايةً عن إبليسَ: قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ [الأعراف: 16، 17].

---

(91) قال ابنُ عطية (٧/ ٣٦٦ – ٣٦٧): «قال قتادة: علم عدو الله أنه ليست له عزة؛ فأقسم بعزة الله أنه يغوي ذرية آدم أجمع إلا من أخلص الله للإيمان به».

ثم أردف معلّقًا: «وهذا استثناء الأقل عن الأكثر على باب الاستثناء؛ لأن المؤمنين أقل من الكفرة بكثير، بدليل حديث بعث النار وغيره.

وجوَّز قومٌ أن يستثنى الكثير من الجملة، ويترك الأقل على الحكم الأول، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إلّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال مَن ناقضهم: العباد هنا يعم البشر والملائكة، فبقي الاستثناء على بابه في أن الأقل هو المستثنى».

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83).

أي: إلَّا عِبادَك الذين أخلَصْتَهم لعِبادتِك، وعصَمْتَهم مِنّي، فلا أستطيعُ إغواءَهم.

كما قالَ اللهُ تباركَ وتعالَى: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ [النحل: 99، 100].

القراءات ذات الأثر في التفسير:

1- قِراءةُ: الْمُخْلَصِينَ بفَتحِ اللَّامِ: اسمُ مَفعولٍ مِن أخلَصَ، بمعنى: أنَّ اللهَ تعالَى أخلَصَهم لعِبادتِه، واختارَهم، فصاروا مُخلَصينَ.[92]

2- قِراءةُ: الْمُخْلِصِينَ بكَسرِ اللَّامِ: اسمُ فاعِلٍ مِن أخلَصَ، بمعنى: أنَّهم أخلَصوا للهِ دِينَهم، وأعمالَهم مِنَ الشِّركِ والرِّياءِ.[93]

---

(92) قرأ بها نافع، وعاصم، وحمزة، والكِسائي، وأبو جعفر.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/295).
ويُنظرُ لِمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (20/147)، ((الحُجة)) لابن خالويه (ص: 194)، ((حُجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 359).

(93) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/295).
ويُنظر لمعنى هذه القِراءة: ((تفسير ابن جرير)) (14/68)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 194)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 358).

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84).

أي: قال اللهُ: فالحقُّ،(94) وأنا أقولُ الحَقَّ.

كما قال تعالَى: وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [السجدة: 13].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا [النساء: 122].

---

(94) كلمةُ فَالْحَقُّ مرفوعةٌ؛ إمَّا لأنَّها خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديره: أنا الحقُّ، أو: قولي الحقُّ، أو تكونُ مبتدأً لخبرٍ محذوفٍ تقديرُه فالحقُّ منِّي، أو يكونُ الخبرُ لَأَمْلَأَنَّ.

يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (517/6)، ((تفسير الشوكاني)) (512/4).

وممَّن اختار أنَّ التقديرَ: فأنا الحَقُّ: الزجَّاج، والسمعانيُّ.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) (342/4)، ((تفسير السمعاني)) (455/4).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: مجاهد.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (149/20).

وممَّن اختار أنَّ التقديرَ: فالحقُّ منِّي: البغوي.

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (78/4).

وممَّن اختار أنَّ قولَه: فَالْحَقُّ مبتدأٌ ضُمِّن معنى القسَمِ، وجوابُه: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...، ويكونُ في هذا الجوابِ كفايةٌ عن خَبرِ المبتدأِ: ابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: 243).

وذكر البقاعيُّ -بِناءً على قِراءةِ الرفعِ هذه- أنَّ قولَه: (فَالْحَقُّ يكونُ هو المقسَمَ به، أي: فالحقُّ قَسَمي، والجوابُ لَأَمْلَأَنَّ وما بينَهما اعتراضٌ مبيِّنٌ أنَّ هذا ممَّا لا يُخلَفُ أصلًا).

((نظم الدرر)) (427/16).

القراءات ذات الأثر في التفسير:

1- قِراءةُ: فَالْحَقُّ بالرَّفعِ. قيل: بمعنى: فاللهُ الحَقُّ، أو فأنا الحَقُّ، أو فهذا الحَقُّ، أو فالحَقُّ منِّي، أو فوَعدُ اللهِ هو الحَقُّ، أو فالحَقُّ قَسَمي.(95)

2- قِراءةُ: فَالْحَقَّ بالنَّصبِ. قيل: بمعنَى: حقًّا لأملَأَنَّ جهنَّمَ. وقيل: التَّقديرُ: فيُحِقُّ اللهُ الحَقَّ. وقيل: نُصِبَ على الإغراءِ، أي: فاتَّبِعوا الحَقَّ، أو الْزَموا الحَقَّ.(96)

(95) قرأ بها عاصمٌ، وحمزةُ، وخلف.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (362/2).

ويُنظر لمعنى هذه القِراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (148/20)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 307)، ((معاني القراءات)) للأزهري (333/2)، ((الحجة للقراء السبعة)) للفارسي (88/6)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (427/16)، ((تفسير ابن عاشور)) (306/23).

(96) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (362/2).

ويُنظر لمعنى هذه القِراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (148/20)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 307)، ((معاني القراءات)) للأزهري (333/2)، ((الحجة للقراء السبعة)) للفارسي (87/6، 88).

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85).

أي: لَأملأَنَّ جهنَّمَ مِن جِنسِك مِن الشَّياطينِ -يا إبليسُ- وممَّن تَبِعَك مِن بَنِي آدمَ أجمَعينَ.

كما قال اللهُ تعالَى: قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا [الإسراء: 63].

وقال سُبحانَه: وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [السجدة: 13].

سورةُ ص

الآيات (86–88)

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

(87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)

غريب الكلمات:

الْمُتَكَلِّفِينَ: أي: المُتصَنِّعينَ المدَّعينَ ما ليس عندَهم؛ فلا أتكَلَّفُ إتيانَكم بما لم يأمُرْني اللهُ به. وتكَلُّفُ الشَّيءِ: ما يَفعَلُه الإنسانُ بإظهارِ كَلَفٍ مع مَشقَّةٍ تنالُه في تعاطيه، وصارت الكُلفةُ في التَّعارُفِ اسمًا للمشَقَّةِ.

تفسير الآيات:

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86).

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ.

أي: قُلْ -يا مُحمَّدُ- لِمُشرِكي قَومِك: لا أسألُكم على تَبْليغي إيَّاكم القُرآنَ ورِسالةَ ربِّي أجرًا دُنيويًّا تُعطونَني إيَّاه.

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ.

أي: وما أنا مِن الذين يَتصنَّعون ويتَحلَّوْن بما ليسوا مِن أهلِه -على ما عرَفتُم مِن حالي- حتَّى أنتحِلَ النُّبوَّةَ، وأتقوَّلَ القُرآنَ، وأتكلَّفَ ما لم أُؤمَرْ به.

عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (يا أيُّها النَّاسُ، مَن عَلِمَ شيئًا فلْيَقُلْ به، ومَن لم يَعلَمْ فلْيَقُل: اللهُ أعلَمُ؛ فإنَّ مِن العِلمِ أنْ يقولَ لِما لا يَعلَمُ: اللهُ أعلَمُ؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ لِنبيِّه - ﷺ -: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ).[97]

(97) رواه البخاريُّ (4809) واللفظ له، ومُسلِمٌ (2798).

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87).

أي: ما هذا القُرآنُ إلَّا تَذكيرٌ مِنَ اللهِ تعالَى لجَميعِ الجِنِّ والإنسِ، وشَرَفٌ ورِفعةٌ لهم إنْ عَمِلوا وتَمَسَّكوا به.

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88).

أي: ولَتعلَمُنَّ -أيُّها المشركونَ- صِدقَ أخبارِ القُرآنِ، وتَحقُّقَ ما فيه مِنَ الوَعدِ والوَعيدِ؛ بعدَ وَقتٍ مِن الزَّمانِ.(98)

كما قال تعالَى: لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [الأنعام: 67].

(98) اختلف السلف في مدة الحين على أقوال: الأول: أن نهايته الموت.

الثاني: نهايته يوم بدر.

الثالث: أن نهايته القيامة.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٠/ ١٥٢) التعميم لدلالة اللغة والعموم في ذلك، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين، مِن غير حَدٍّ منه لذلك الحين بحَدٍّ، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم مَن علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر وقبل ذلك، ولا حدَّ عند العرب للحين، لا يجاوز ولا يقصر عنه؛ فإذ كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصحُّ مِن أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت».

واستدل بقول عكرمة من طريق أيوب.

وذكر ابنُ كثير (٧/ ٨٣) القول الأول والثالث، ثم علّق قائلًا: «يعني: يوم القيامة، ولا منافاة بين القولين؛ فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة».

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ الثَّامنُ والعشرونَ

ويَليه المجلَّدُ التَّاسعُ والعشرونَ، وأوَّله:تفسيرُ سورةِ الزُّمَر

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

المغني في التفسير

المُحرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا